

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع: التاريخ

الموضوع:

الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية

خلال القرن 18 م في مصر والشام

علي بك الكبير وظاهر العمر الزيداني

- أ. نموذج -

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في

تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830 م)

تحت إشراف الأستاذ:

• سعيد زهار.

من إعداد الطالبة:

• جدي ليدية.

السنة الجامعية: 2024 - 2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع: التاريخ

الموضوع:

الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية

خلال القرن 18 م في مصر والشام

علي بك الكبير وظاهر العمر الزيداني

- أ. نموذج -

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في

تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830 م)

تحت إشراف الأستاذ:

• سعيد زهار.

من إعداد الطالبة:

• جدي ليدية.

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	اسم ولقب الأستاذ (ة)
رئيسا	أ.د صالح مزهورة.
مشرفا ومقررا	أ. سعيد زهار.
مناقشا	أ.د. عزيز خيثر.

السنة الجامعية: 2024 - 2025



قال الله تعالى:

﴿لِلَّهِ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

سورة النور الآية 19

شكر وتقدير

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة وأخرجت للناس ولحمد الله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور .نشكره ونستغفره ونتوب إليه ، رب كل شيء وملكه رفع العلم والعلماء وقربهم بالوحي من السماء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ،ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذ الفاضل المشرف عليا في هذا العمل الأستاذ سعيد زهار، الذي أشرف وشرفني في تأطيري والذي لم يبخل عليا بتوجيهي .وأعطاني الفرحة لترك بصمة في هذا البحث المتواضع.

والشكر الموصول أيضا إلى أستاذتي الفاضلة منهم أستاذ خيثر وأستاذ بورنان، وأستاذ حيمي وأستاذ مريخي وأستاذ غريسي، وأستاذة فلاح وأستاذة رقان وأستاذة قاسي، الذين لم يبخلو علينا في أي معلومة، ولم يبخلو بتوجيهاتهم ونصائحهم .خاصة أستاذ بورنان وأستاذ خيثر. والشكر الخاص إلى الأساتذة تخصص التاريخ الجزائر الحديث، الذين قدموا لنا يد العون والمساعدة وأنثروا فينا وبثوا طريق العلم في أروحنا.

وفي الختام نسأل الله العافية التوفيق.

ليدية

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

أومن بالمقولة التي تقول: « أينما تقف فإنك تقف على شخصا ما ».

لذلك أكتب لكم جميعا.

❖ إلى نفسي أولا: السلام لقلبك يا أنا، أعلم أنك لا تطلبين من هذه الدنيا سوى الأمان والراحة، أتمني أن تتحصلي عليه، أما بعد إنه لاشعور مهيب أن تبلغني مبتغاك فهنئنا لك.

لقوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا)

سورة الاسراء

❖ بكل فخر اهدي ثمرة جهدي وفرحتي التي انتظرتها طوال حياتي

❖ إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي ، أعلم أنك تنتظر بلهفة فرحة تخرجني، أنا الان أبلغك يا أبي قد بلغت مرادي، وهذا نتاج غرسك لي، إلى من غرس في روحي مكارم الاخلاق داعمي في مسيرتي وسندي وقوتي وملاذي بعد الله إلى فخر واعتزازي أبي.

❖ إلى من أوصاني الرحمن بها، براء، واحسانا ورفقا ولينا إلى الأميرة النساء في قلبي، إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الامل والأمان، إلى من علمتني الحب والعطاء، أمي التي لطالما كانت ودعواتك كانت عنوان دربي ،وتبقي يا أمي أمنياتي علي وشك التحقق، لطالما يدك في يدي، إلى من سهرت الليالي، وتعبت منأجلي لتخفف عني الألم والتعب الى وهج الحياة حياتي وزهرتي التي كانت تمسك كأني طفلة صغيرة وتؤمن بأنني سأكون يوما ما أريد إلى أمي وأماني ومأمني وإيماني.

❖ إلى ضلعي ثابت وامان أيامي إلى ملهمي نجاحي التي شددت عضدي بهم فكانوا ينابيع ارتوي منها إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد ومن وجدهم أكتسب قوة والمحبة لا حدود لها، إلى من عرفت معهم الحياة إلى خيرة أيامي وصفوتها أخواتي أسماء، شهيناز، وأية، بهم أشد عضدي وهم ينابيع أرتوى بها بعد أبي وأمي إلى قرة عين أخواتي.

❖ إلى من يحسنون الصحبة ويكرمون رفقة ، وفلا يشقي في صحبتهم أحد ، لله دار أفئدة أناس تحمل من الطهر والنقاء مالا قدر له: ربيعة، أسماء، كهينة، سارة

هنا رفقاء وأصحاب السنين والشدائد والأزمات.

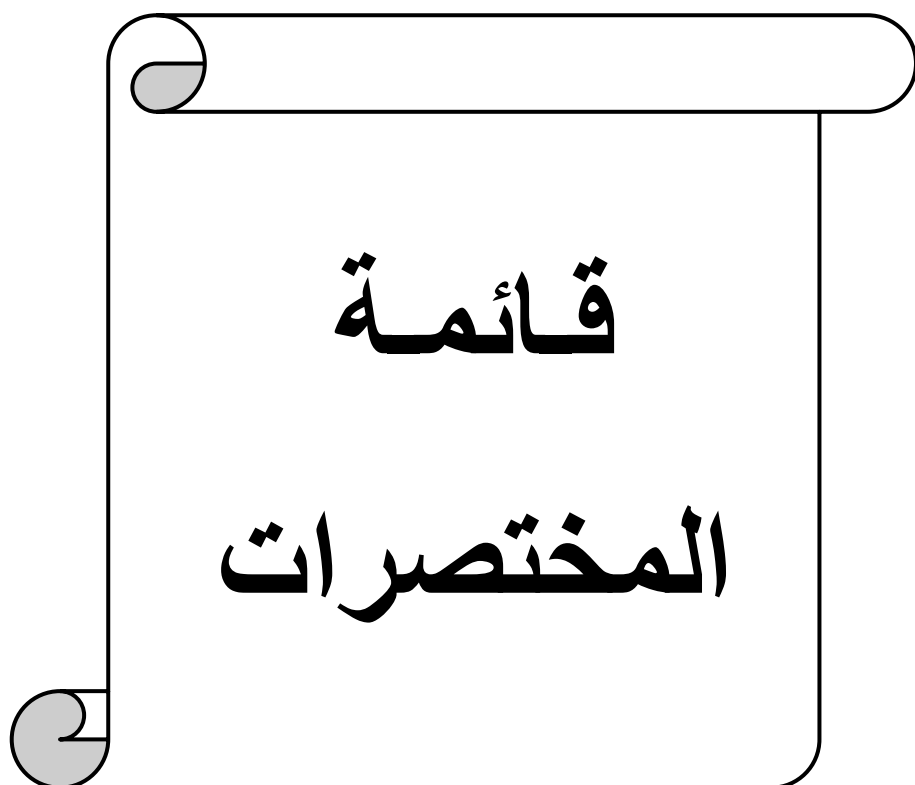
❖ إلى أحبتي ومن سهروا معانا في مسيرتنا العلمية إلى من مدو أياديهم البيضاء في ظلام الليل لكل من كان عوناً وسنداً في هذا الطريق رادية، باية، عقيلة، ثنينة، معكم قضيت الاجمل الأوقات في فترة تخضير المذكرة شكرا لكم.

❖ ولن أنسى أيضا أن أهدي هذا العمل إلى جامعة الجزائر 2/1 على استضافتهم لي وكأن التعب يخبرك أن ينقضي وأنتك لن تصل لكن بعد الليالي من العجاف لاحت نهاية المواجهة، ذهب ظمأ السنين، وابتلت عروق الأحلام. فالحمد لله.

❖ وأخيرا إلى كل من تحملهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكراتي أهدي هذا العمل لهم بكل فخر فالحمد لله.

❖ وأخيرا من قال أنا لها نالها وأنا ان أبت زعما أتيت ببيها ، ماكنت لأفعل ذلك لولا توفيق الله ها هو اليوم العظيم هنا ،اليوم الذي أجربت وسنوات الدراسة الشاقة حاملة فيها حتي توالى منه كرم لفرحة التمام ، فالحمد لله الذي به خيرا واملأ الا وأغرقنا سرورا وفرحا ينسيني مشقتي.

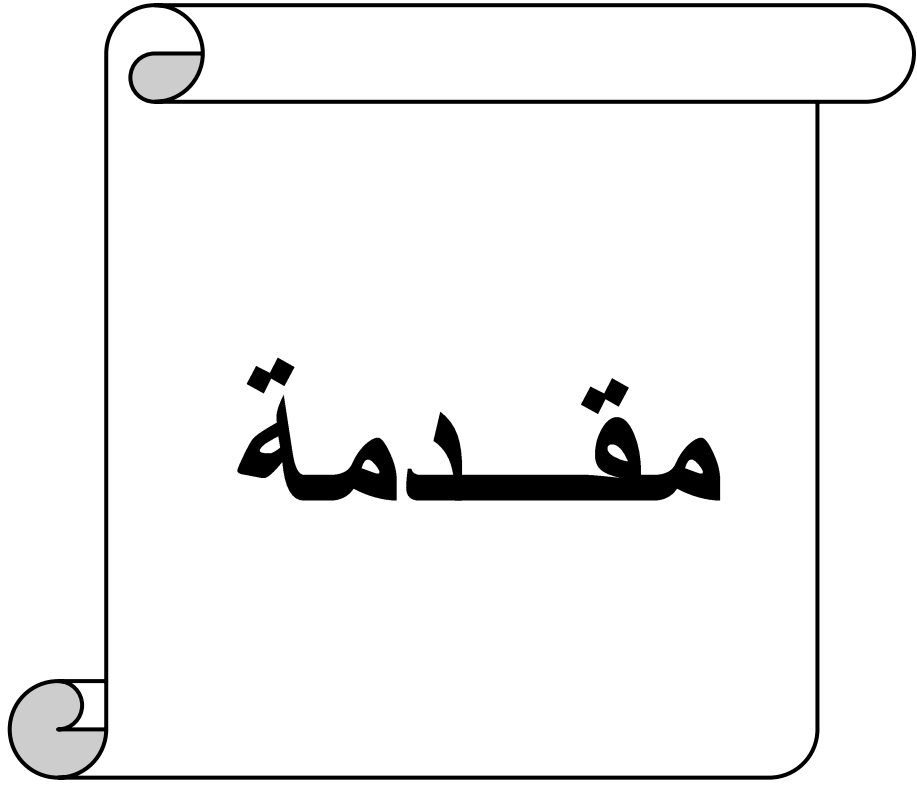
إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا النجاح المتواضع



قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

الجزء	ج
الطبعة	ط
دون الطبعة	د-ط
ترجمة	تر
تحقيق	تح
دون دار نشر	د.د.ن
دون تاريخ نشر	د.ت.ن
دون مكان نشر	د.م.ن
هجري	هـ
ميلادي	م
صفحة	ص
عدد	ع
مراجعة	مر
تقديم	تق
مجلد	م
تعريب	تع



يعتبر القرن الثامن عشر نقطة تحول حاسمة في تاريخ الدولة العثمانية. فقد شهدت الدولة العثمانية خلال هذه الفترة عدة تغيرات أهمها ظهور المركزية الإدارية نتيجة لضعف السلطة العثمانية. مما أدى إلى التدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وتجلّى ذلك سياسيا في انتشار عدة محاولات انفصالية هدّدت الوجود العثماني بالزوال.

ومن بين الحركات الانفصالية التي شهدتها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر ميلادي تلك التي ظهرت في بلاد مصر وبلاد الشام، واقصد بذلك حركتي ظاهر العمر الزيداني وعلي بك الكبير و اللتان تمثلان موضوع دراستي.

وظهرت هاتان الحركتان تزامنا مع انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الخارجية، مما أتاح لهما فرصة الظهور على الساحة السياسية ساعية لتحقيق أهدافها وطموحاتها على حساب الدولة العثمانية والانفصال عنها.

وقد أفرزت تلك الحركات إثارة أطماع الدول الأجنبية الأوروبية المعادية، ساعية لتقديم الدعم والحماية لها، مما سمح لها بالتدخل في شؤون الدولة العثمانية وتحقيق مطامعها وأهدافها الخاصة في كل من بلاد مصر وبلاد الشام.

◀ دواعي اختيار الموضوع:

وقع اختيار على الموضوع لجملة من الدوافع الذاتية والموضوعية التي يمكن حصرها فيما يلي:

الدافع الذاتي ينبع من الاهتمام بدراسة هذا الموضوع وشغفي لدراسة التحولات الكبرى في التاريخ العثماني، لاسيما في هذه الفترة، وفضولا مني للبحث في تاريخ الحركات الانفصالية المتمثلة في حركتي علي بك الكبير وظاهر العمر في بلاد مصر وبلاد الشام. وهما اللذان يعدان من أبرز الزعامات المحلية التي تمكنت من فرض نفوذهما السياسي والإداري.

أما الدافع الموضوعي يستند إلى أهمية القرن الثامن عشر بوصفه مرحلة هامة في تاريخ الدولة العثمانية من جهة، وما تمثله شخصيتي علي بك الكبير وظاهر العمر من إشكالية تاريخية من خلال تضارب الآراء تجاه حركتيهما بين من اعتبر هذه الحركات الانفصالية مشروعا

توسعي للانفصال عن الدولة العثمانية، وبين من اعتبر ذلك مشروعا للانفراد بالحكم في ظل التبعية للدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

◀ أهمية الموضوع:

يمثل موضوع الحركات الانفصالية التي شهدتها الدولة العثمانية في أقاليمها المترامية إحدى التحديات التي طرحت على الباب العالي. فهي التي هددت استقرار الدولة ووحدتها وفتحت الثغرات للتحرش الأجنبي فيها. و تمثل تلك الحركات مظهرا لفشل السياسة العثمانية في إدارة شؤون الدولة من جهة، كما مثلت ملمحا لظهور طموح القوى المحلية في الإصلاح والتغيير من جهة أخرى.

◀ الإشكالية:

مثلت الحركات الانفصالية بالدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ملمحا و مظهرا شائعا بمعظم الأقاليم التابعة للباب العالي. وتطرح أشكالا تاريخيا بين كونها سببا في تدهور الدولة العلية وبين كونها نتيجة لما بلغته تلك الدولة من تردي الأوضاع السياسية بالخصوص من خلال التسلط والاقصاء المنتهج في شؤون تسيير الولايات العثمانية. وتمثل حركتا علي بك الكبير في مصر وظاهر العمر في الشام نموذجين هاميين في هذا السياق.

ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما هي خلفيات الحركتين؟، هل كانت تعبيرا عن تذمر الأقاليم من سياسة الباب العالي وسعيا لفرض الإصلاح ؟، أم كانت طموحا انفصاليا تغذيها الطموحات الشخصية لقادة تلك الحركات ؟.

ولمعالجة وتفكيك هذه الإشكالية العامة نطرح جملة من الأسئلة الفرعية وهي كالتالي:

- ماهي الأوضاع العامة لبلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي ؟.

- من هم علي بك الكبير وظاهر العمر الزيداني ؟.

- ماهي أهم الدوافع التي أدت لبروزها ؟.

- ما هي طموحات القائدين السياسية ؟ وما موقفهما الباب العالي ؟.

ما هي ملامح سياسة القائدين الداخلية والخارجية؟

- ما هي أهم توسعات الحملات التي قاموا في بلاد مصر والشام؟

- وماهي أهم ردود الفعل والنتائج المترتبة عن هاتين الحركتين؟

◀ الدراسات السابقة للموضوع:

وما يجب أن ننوه إليه هو عدم العثور على أي دراسة حول موضوع في حدود اطلاعي حول شخصية ظاهر العمر، أما علي بك مصر فقد اقتصر في مؤلفين اثنين فقط.

نجد كتاب علي بك الكبير لمؤلف محمد رفعت، الذي سلط ضوء على حياة علي بك منذ بدايتها إلى نهايتها، وركز هذا الكتاب خاصة على جانب السياسي، وإدراجه لأهم الأساليب التي اعتمدها للاستقرار وللانفراد بالحكم.

أما الكتاب الثاني ثورة علي بك الكبير 1768م، لمؤلف أنور زقلمة، الذي افادني في معرفة أهم الحملات والتوسعات التي خاضها علي بك في كل من الحجار وبلاد الشام، فنجد هذا الكتاب يتحدث بكثرة على حملة الشام.

◀ المنهج المتبع:

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة، فقد اعتمدت في هذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي الذي مكنتني من معرفة على أهم الأحداث التاريخية المتسلسلة بشكل دقيق خاصة عند عرضي للأوضاع السائدة في بلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر قبل انفرادهم بالحكم.

كما قمت بالوصف للتوسعات وأهم الحملات التي قادها كل من علي بك وظاهر العمر، كما توجب على الاعتماد على المنهج التحليلي عند مناقشتي وتحليلي لبعض المواقف التي درستها وكذلك الكشف عن العديد من الخفايا للوصول إلى أهم النتائج المترتبة عن هاتين الحركتين في مصر والشام.

◀ الخطة المتبعة:

قسمت موضوع بحثي وفق خطة منهجية تتكون من مقدمة، وأربعة فصول، وفي الاخير خاتمة اختتمت بها موضوع بحثي تضمنت فيها أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، وفي أخير اضفت مجموعة من الملاحق لهذه الدراسة لتوضيح بعد الأشياء.

بالنسبة للفصل الأول الذي كان بعنوان أوضاع لبلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر، فقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين، مبحث حول الأوضاع بلاد مصر خلال القرن الثامن عشر، ومبحث الثاني حول الأوضاع بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر.

فالمبحث الأول قسمته إلى ثلاث مطالب، المطلب الأول تناولت فيه الوضع السياسي والثاني الوضع الاقتصادي اما الثالث فتناولت فيه الوضع الاجتماعي السائد في هذه الفترة.

أما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه للأوضاع بلاد الشام فتناولت في هذا المبحث كذلك الأوضاع السائدة بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فقد أردت من خلال دراستي لهذا الفصل معرفة الأوضاع التي كانت سائدة في مصر والشام، والتي مهدت علي بك وظاهر العمر للوصول إلى الحكم.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد كانت الدراسة حول حركة علي بك الكبير خلال القرن الثامن عشر، فقد قسمت هذا الفصل الى ثلاث مباحث، وكل مبحث قسمته إلى مطلبين.

فقد تناولت في المبحث الأول تعريف علي بك الكبير فتطرقت في المطلب الأول لشخصيته، أما المطلب الثاني فكان حول وصوله إلى الحكم هل كان التمرد أم الانفصال.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه السياسة الداخلية والخارجية لعلي بك الكبير خلال القرن الثامن عشر، فكان المطلب الأول حول السياسة الداخلية التي انتهجها، أما المطلب الثاني تناولت فيه سياسة الخارجية.

أما المبحث الأخير لهذا الفصل فكان حول نهاية علي بك الكبير فقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين مطلب حول خيانة محمد أبو الذهب لعلي بك الكبير، اما المطلب الثاني حول وفاته. فقد أردت من خلال دراستي لهذا الفصل لمعرفة شخصية علي بك الكبير، وأهم السياسات الداخلية

والخارجية التي اعتمدها، وأهم الحملات التي كانت في حجاز وبلاد الشام، وفي آخر دراسة هذا الفصل تعرفت على كيفية القضاء على علي بك، والأسلوب الذي اعتمده في الانفصال عن الدولة العثمانية.

أما الفصل الثالث فقد كان حول حركة ظاهر العمر الزيداني في الشام خلال القرن الثامن عشر، فقد قسمت الفصل إلى ثلاث المباحث، كل مبحث قسمته إلى مطلبين.

فقد تناولت في المبحث الأول التعريف بظاهر العمر الزيداني، في المطلب الأول كان حول تعريف شخصية ظاهر العمر، أما المطلب الثاني كيف وصل الى الحكم وهل كان تمرد ام انفصال.

أما المبحث الثاني فكان حول السياسة الداخلية والخارجية التي إعتدها ظاهر العمر الزيداني، فقد تناولت في المطلب الأول سياسة الداخلية للانفراد بالحكم، اما المطلب الثاني فكان حول سياسة الخارجية التي تناولت فيه إلى أهم الحملات والتحالفات التي قام بها ظاهر العمر.

أما المبحث الثالث والآخر في هذا الفصل كان حول نهاية ظاهر العمر، فكان المطلب الأول حول نزاعه مع علي بك الكبير، اما المطلب الثاني فحول وفاته. فقد أردت من خلال دراستي لهذا الفصل لمعرفة شخصية الشيخ ظاهر الزيداني ودراسة سياسة التي وضعها للانفراد بالحكم، وتعرف على أهم الحملات وتحالفات التي بينه وبين علي بك الكبير ومع ذكر أهم المعاهدات التي أبرمتها هذين الأخيرين مع الدول الأجنبية والبندية، وفي أخير تعرفت على نزاعه القائم بينه وبين الدول العثمانية وفي أخير وفاته في نهاية المطاف.

لنختم موضوع بحثنا بالفصل الرابع والأخير المعنون بالسياسات العثمانية تجاه الحركات الانفصالية ونتائجها خلال القرن الثامن عشر، فقد قسمت الفصل إلى مبحثين.

المبحث الأول تناولت فيه ردود الأفعال الداخلية والخارجية لحركة علي بك الكبير وظاهر العمر الزيداني، فهذا المبحث قسمته إلى مطلبين، مطلب تناولت فيه ردود فعل إتجاه حركة علي بك داخليا وخارجيا، أما المطلب الثاني فتناولت فيه ردود الفعل إتجاه حركة ظاهر العمر الزيداني بين موقف الدولة العثمانية وموقف الرعايا.

أما المبحث الثاني فكان حول نتائج حركة علي بك الكبير وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر، فالمطلب الأول كان حول نتائج المترتبة لحركة علي بك أما المبحث الثاني فكان حول نتائج المترتبة لحركة ظاهر عمر. ومن خلال دراستي لهذا الفصل حاولت معرفة ردود فعل تجاه هذه الحركات وأهم النتائج المترتبة عنهم في مصر والشام.

وبالنسبة للخاتمة فقد جاءت على شكل مجموعة من الاستنتاجات للموضوع.

◀ التعرف على أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على عدة مصادر ومراجع ومن أهمها:

كتاب عبود الصباغ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر، وهو من المصادر المهمة لدراسة التاريخ لجنوب بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، ويتناول هذا الكتاب سيرة ظاهر العمر الذي لعب دورا مهما في شمالي فلسطين والأردن وجنوبي لبنان، كما تعرض لعلاقة ظاهر العمر بالقوي المحلية في هذه المنطقة وبولاة الدولة العثمانية.

وكذا كتاب ميخائيل العكاوي، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، الذي أعطانا صورة واضحة عن حياة ظاهر العمر بمختلف جوانبها، والذي ساعدني في معرفة السياسة التي اعتمدها ظاهر العمر للاستقرار بالحكم.

إضافة إلى كتاب قسطنطين بازيلى، سورية تحت الحكم العثماني، الذي اعتمدت فيه في تحليل توسعات التي قام بها ظاهر العمر في فترة حكمه.

وكذا كتاب كرد علي، معنون بخط الشام، الذي احتوى على عدة أجزاء، لكن اعتمدت في هذه الدراسة علي جزء الأول خاصة أنه يتعلق بجانب الحملة الشام.

وكذا كتاب سواعد محمد يوسف، معنون البدو في فلسطين الحقبة العثمانية 1516/1914م، الذي أعطانا صورة واضحة حول فترة حكم ظاهر العمر.

وكذلك اعتمدت على كتاب عبد الرحمن الجبرتي، المعنون بعجائب الآثار والأخبار، الذي أفادنا في معرفة بعض الشخصيات ومصطلحات في هذه الفترة.

واعتمدت في بحثي على مراجع أهمهم كتاب عبد المنعم صبحي تحت عنوان الشرق الإسلامي زمن المماليك، الذي أفادني في دراستي وأعطاني صورة واضحة وشاملة جدا حول الحركات الانفصالية في القرن الثامن عشر ميلادي أهمها حركة علي بك الكبير في بلاد مصر وظاهر العمر في بلاد الشام فهذا الكتاب قام بسرد أهم الأحداث التي وقعت أبان القرن الثامن عشر.

واعتمدت على كتاب الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1916/1516م، الذي سلط ضوء على موقف العرب من حاكمهم ومع ازدياد التباعد بين العرب والعثمانيين، وتعاضم النفوذ المحلي في القرن الثامن عشر، وكذا اعتمدت على كتاب البديري الحلاق المعنون بالمجتمع الدمشقي في عصره.

واعتمدت في بحثي هذا على بعض المراجع الأجنبية المترجمة مثل كتاب تاريخ الدولة العثمانية تحت إشراف روبير مونتران، الذي عالج فيه الأحداث السياسية للدولة العثمانية عند نشأتها والتنظيمات والحكم العثماني في الولايات العربية، ويوضح لنا هذا كتاب وجهة نظرا المفكرين الأوربيين من الدولة العثمانية. ما يميز هذا المرجع اعتماده على تحليا ونقد الاحداث والربط بينهما، لا على سرد الأحداث.

وكذا من كتب المهمة أيضا نجد كتاب هاملتون جب وبورن هارولد، في جزأين المجتمع الإسلامي والغرب، الذي أفادني في تحليل طبيعة حكم الحكم العثماني وإدارته للولايات العثمانية العربية خلال القرن الثامن عشر.

واستعنت بمجموعة من الاطروحات منها كالحركات التمرد في بلاد الشام من أوائل 17م إلى ثلاثينات القرن 18م، لعمروش نادية، وقوي الصراع السياسي في لبنان، لخاتم حسن.

وبعض الموسوعات والمعاجم كالموسوعة والوظائف العثمانية، لبركات مصطفى. ومعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية والتاريخية، لصابان سهيل وغيرها من الموسوعات الأخرى التي ساعدتني عل معرفة شرح بعض المصطلحات التاريخية.

◀ صعوبات الدراسة:

- لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات تعترض درب الباحث لإنجاز مذكرته، ومن أهم الصعوبات التي واجهتها خلال دراستي لهذه المذكرة نذكر فيما يلي:
- ضيق الفترة الزمنية التي قمت بدراستها.
- تشعب موضوع ظاهر العمر من كل الجوانب واتساعه، على عكس علي بك الكبير.
- قلة المصادر والمراجع التي تناولت حياة علي بك الكبير، حتي ان وجدت اجد فقط فقرات صغيرة لا يتوسعون فيها.
- صعوبة كبيرة في التوفيق بين حركة علي بك الكبير وظاهر العمر خاصة في الفصل الأول.
- صعوبة في تحميل بعض النسخ الالكترونية كونها مشفرة.
- صعوبة الحصول على المصادر الأجنبية المتعلقة بالموضوع بسبب قلتها.
- كثرة التناقضات والاختلافات التي واجهتها في المراجع التي اعتمدت عليها، مما تطلب مني الحرص والتركيز لعدة ساعات عند تناولي لجزء صغير من الموضوع الذي تناوله.
- إفتقار البلدة التي أعيش فيها لأبسط الفضاءات الفكرية، كما عزلتها عن أقرب المكتبات والمراكز العلمية.
- نقص بعض الكتب المتخصصة حول شخصية ظاهر العمر وعلي بك في مكتبة الجامعة.
- بعد المسافة إلى العاصمة التي تتوفر على المكتبات الكبيرة وهو ما يتطلب مني الجهد والوقت للوصول إليها، وحين وصلي واجهتني بعض صعوبات وجملة من العراقيل الإدارية خاصة في إعراض المسؤولين بحجة تقديم بعض مذكرات بحجة الخصوصية.
- وفي أخير أرجو ان أكون قد وفقت ولو بالقليل لإعطاء صورة واضحة ودقيقة، حول موضوع الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر علي بك وظاهر العمر في الشام نموذجاً.

الفصل الأول: أوضاع في بلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

المبحث الأول: الأوضاع في بلاد مصر خلال قرن الثامن عشر.

- المطلب الأول: الأوضاع السياسية.
- المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية.
- المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الثاني: الأوضاع في بلاد شام خلال قرن الثامن عشر

- المطلب الأول: الأوضاع السياسية.
- المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية.
- المطلب الثاني: الأوضاع الاجتماعية.

يعد القرن الثامن عشر من الفترات التاريخية الحاسمة في تاريخ بلاد مصر والشام، حيث شهدت هذه المنطقة تحولات عميقة على المستويين السياسي والاجتماعي، في ظل تراجع النفوذ العثماني وصعود قوى محلية لعبت دوراً محورية في توجيه الأحداث.

فقد تميز هذا القرن بتدهور سلطة الدولة المركزية العثمانية وتفكك بنيتها الإدارية، ما أتاح الفرصة لظهور زعامات إقطاعية ومحلية، كالمماليك في مصر والأمراء المحليين في الشام، الذين أصبح لهم تأثير مباشر على حياة السكان ومصير الأقاليم.

وعلى الرغم من هذا التدهور فإن بلاد مصر والشام لم تكن معزولة، فقد شهدت تزايداً في الاهتمام الأوروبي والفرنسي سواء من الناحية التجارية، كما ترافقت عدة التغيرات السياسية والاقتصادية، حيث بدأت ملامح الضعف تظهر. في هذا الفصل سوف نقوم بدراسة ملامح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر والشام خلال القرن الثامن عشر، وبداية الدراسة سوف تكون بأوضاع بلاد مصر ثم تليها أوضاع بلاد الشام.

1/ المبحث الأول: أوضاع في بلاد مصر خلال القرن الثامن عشر ميلادي

خلال القرن الثامن عشر شهدت مصر أوضاعاً سياسية واقتصادية مضطربة، فعلى الرغم من تبعيتها الرسمية للدولة العثمانية، إلا أن السلطة الفعلية كانت بيد المماليك الذين تنازعوا فيما بينهم على الحكم، مما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار. كما تدهور الاقتصاد نتيجة للضرائب الباهظة والصراعات الداخلية وتراجعت الزراعة والصناعة، وفي المقابل ظل الشعب المصري يتحمل الأعباء وسط محاولات الاصطلاح إلى أن جاءت الحملة الفرنسية.

أ/ المطلب الأول: الأوضاع السياسية لبلاد مصر

شهدت مصر منذ الفتح الإسلامي حكومات أجنبية متعددة، بدءاً من الطولونيين والأحستيين، مروراً بالفاطميين ثم الأيوبيين وجميعهم كانوا من عناصر غير مصرية¹، ومع ذلك سرعان ما تأثروا بالبيئة المصرية، واندمجوا في حضارتها، مما دفعهم لإعلان استقلالهم وطبع حكومتهم بالطابع المصري².

¹ محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، د ط، المطبعة الأميرية، مصر، 1934م، ص 1.

² محمد رفعت، المرجع نفسه، ص 1.

وهكذا حافظت البلاد على ميزاتها الاستقلالية خلال العصور الوسطى، ثم استولى المماليك على الحكم مع الأيوبيين حيث حكموا البلاد بشكل مستقل وأطلقوا على أنفسهم لقب السلاطين، وتمكنوا من الحفاظ على ممتلكات مصر في الشام حتى برزت قوة الأتراك العثمانيين، ووجه السلطان "سليم الأول"¹ أنظاره للقضاء على خصومه. وبعد هذه الانتصارات التي حققها سليم توترت العلاقات بين سليم و السلطان الدولة المملوكية الغوري الذي كان حليفاً للشاه إسماعيل. فقام السلطان المملوكي الغوري بإعداد حملة كبيرة في عام 1516م² التي انهزم فيها المصريون لقلة عددهم وسوء أسلحتهم ونظامهم وظهور الأعداء بين صفوف المماليك، وبالتالي استولى العثمانيون على مناطق نفوذهم، ثم دخلوا بلاد مصر وحاول آخر سلاطين المماليك " طومان باي " ابن أن السلطان المملوكي الغوري الذي خلفه حاكماً على مصر لكن انهزم في عدة معارك عام 1517م، وقبض السلطان على طومان باي، وهكذا فقدت مصر استقلالها وصارت إيالة عثمانية³.

أ/ تثبيت النفوذ العثماني في مصر خلال القرن الثامن عشر:

بعد أن انتهى " سليم الأول " عملية جمع ومصادرة التحف الثمينة والجواهر التي كانت تزين قصور سلاطين المماليك وخزائنهم، وضع نظاماً للحكم في مصر ليتم اتباعه بعد مغادرته البلاد⁴. كان الهدف الأساسي من هذا النظام هو ضمان استمرار تبعية مصر للدولة العثمانية، حيث عمل سليم على تحقيق هذا الهدف دون أن يولي اهتماماً بمصالح البلاد أو تطوير مواردها، ورغم طول فترة وجود العثمانيين في الأراضي التي فتحوها، إلا أنه لم يكن لديهم حضارة أو آداب خاصة يمكن إدخالها أو تعزيزها في تلك البلاد، مما جعل نظام حكمهم يترك أثر ظاهراً وغير ملحوظ على الرغم من بقائهم في البلاد التي فتحوها⁵.

¹ هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية، ارتقى إلى أن تولى الحكم عام 1512م، اهتم بتحديد معاهدات الصلح مع الدول الأوروبية، ومن أعماله أنه أوقف محالات الصقويين بضم العراق، وانتصر عليهم في معركة جالدران عام 1514م، دخل تبريز على دولة المماليك في الشام ومصر وضم الحجاز، وفي عهده بدأ النفوذ إلى شمال إفريقيا خاصة الجزائر، بنى المساجد أشهرها مسجد السليمية. أنظر: سهيلة أحمد سرير، فتحة حاج بن فطيمة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بين الآثار الإيجابية والسلبية (10-13هـ-16-19م)، مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة المدينة، 2015م، ص 13.

² محمد رفعت، المرجع السابق ص 1.

³ رفعت، المرجع نفسه، ص 2.

⁴ رفعت، المرجع نفسه، ص 2.

⁵ رفعت، المرجع نفسه، ص 2.

ب/ مميزات النظام العثماني في مصر خلال القرن الثامن عشر:

انضمت مصر إلى الدولة العثمانية في عام 1517م واستمر النظام الإداري والسياسي الذي أرساه السلطان "سليم الأول"، وعدله ابن أخيه "السلطان سليمان القانوني"¹ حتى نهاية القرن الثامن عشر عند مجيء الحملة الفرنسية، ومن مميزات هذا النظام العثماني أنه يتألف من مجموعة من العناصر الفاعلة سياسياً والتي يمكن حصرها في طائفة المماليك، سلطة الوالي، الحامية العسكرية وفي الأخير هيئة الديوان.

• **أولاً:** بعد الضم العثماني للمماليك على يد السلطان سليم الأول سنة 1517م، كانت وجهة نظره مبنية على أساس الاستفادة من هذه العصبية المحلية، وفي حين جعلهم عنصر موازية بين الوالي وقائد الحامية العثمانية² وعلى إثر هذا وافق سليم الأول على تعيين أربعين من أمراء المماليك واسند إليهم بعض المناصب الإدارية، كما دخل بعضهم في عضوية ديوان الباشا الذي يرأسه الوالي، وقد تشكل الغزو العثماني في رؤساء الحامية العسكرية من (نائب الوالي)، و (الدفتر دار) وأمير الحج³.

ومع تزايد الضعف في الحامية العسكرية وكثرة تغييرات الولاة خلال القرن الثامن عشر، بدأ نفوذهم وسلطتهم في التراجع، وبدأت السلطة الفعلية تنتقل إلى المماليك، الذين أصبحوا قوة يخشى بأسها⁴. لم يكتفوا بعزل من أرادوا بل طمحووا أيضاً إلى التحرر من السيادة العثمانية، مما ساعد على تعزيز سيطرة المماليك في مصر⁵، وظهور شخصية الزعيم الذي إما

¹ هو عاشر سلاطين آل عثمان، اعتلى عرش السلطنة سنة 1520م، بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها، كان ذا مقدرة كبيرة على التنظيم والتشريع حتى عرف بالقانوني، شارك في 13 حرباً وكان من أبرز فتوحاته الاستيلاء على بلغراد عاصمة الصرب عام 1521م، إستولى على جزيرة رودس سنة 1522م، انتصر على المجر في معركة موهاكس عام 1526م، وحاصر فيينا، حمى تونس من خطر البرتغاليين والإسبان، ضم إليه صنعاء وعدن عام 1838م. أنظر: سهيلة أحمد سرير، فتحة حاج بن فطيمة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بين الآثار الإيجابية والسلبية (10-13 هـ - 16-19م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة يحي فارس، بالمدينة، 2015م، ص 14.

² إبراهيم خليل إبراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (1516-1916م)، دط، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، العراق: 2005م، ص ص 39-40.

³ إبراهيم خليل إبراهيم، المرجع نفسه، ص 40.

⁴ صبحي عبد المنعم، الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، دط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دت، ص 122.

⁵ عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مر: أ. ج. سعدج، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة - ج م ع، ص 79.

اختاروه أو فرض نفسه عليهم بالقوة، مما أدى تدريجياً إلى تراجع دور الوالي الذي أصبح نفوذه إسمياً، وأصبح زعيمهم يعرف باسم شيخ البلد¹.

وفي أوائل القرن الثامن عشر الذي كان يتولاه أقوى أمراء مصر قد أغضب الباب العالي الذي لم يعجز عن رؤية هذا الفعل²، وفي حين تحمل العثمانيون بمرور الوقت هذا الاستعراض المصري لشبه الاستقلال لما عهده العثمانيون من مرونة، إلا أن العثمانيين أخيراً قرروا وضع حد لهذا فصدروا فرمان بتاريخ 1731م يتوعد بالموت لأي شخص يستخدم هذا اللقب، غير أن مرسوم آخر صدر بعد ذلك بخمس عشرة سنة ينادى "بعثمان بك" أمير سابق للحج شيخاً للبلد³. بعد المماليك نجد الهيئة الفاعلة الثانية تتمثل في الوالي.

• **ثانياً:** رأى السلطان العثماني أن مصر بمعزل عن أملاك الدولة وأن بعدها عن مقر الحكم في الإستانة قد يساعد حكامها على الاستقلال عن الباب العالي، فوضع نظاماً يقضي بتوزيع السلطة على هيئات مختلفة يكون له من تشاؤها ودوام تنافسها ما يضمن استمرار ضعف هذه الهيئات⁴، فقد كان النظام يتألف من هيئة الحكم من والي وهو الباشا⁵، الذي يعنيه السلطان العثماني ليكون نائباً عنه لمدة قصيرة تتراوح عادة ما بين ثلاث سنوات وسنة ومقره في القلعة بالقاهرة، تتمثل وظيفته في تمثيل الباب العالي وتبليغ وتنفيذ أوامره وإرسال الجزية وقيادة الجند في الحرب⁶.

وفي مستهل القرن الثامن عشر انهارت الدولة العثمانية في مصر، وشهدت اضمحلال نفوذ الباشا داخل الجهاز السياسي، وفي أثناء العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن عشر كان

¹ هو كبير أمراء المماليك، وارتفع المناصب المملوكية بعين من قبيل سكان قرية نمن اختصاصاته مسؤولية حفظ الأمن، وحل النزاعات التي تنشأ بين أعاليها، أو بين القوى المجاورة ومعاقبة الفلاحين، أنظر: صالح هريدي، الصعيد في العصر العثماني. تق: عمر عبد العزيز عمر، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006 م، ص 124، 125.

² هيكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، تر: إبراهيم محمد إبراهيم، مر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د ط، الهيئة المصرية للكتاب، د ب، 2001م، ص 117.

³ هيكل ونتر، المرجع السابق، ص 117.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 3.

⁵ لقب من أعلى ألقاب التشريف في الدولة العثمانية، مأخوذة من الكلمة الفارسية باه شاه بمعنى الملك، أو كلمة بمعنى الرئيس. أنظر: أحمد دهمان، معجم ألفاظ التاريخ في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، سوريا، 1900م، ص 300.

⁶ رفعت، المرجع السابق، ص 3.

الوالي من أهم الشخصيات المركزية التي تتحاز في الصراعات بين هيئات المماليك ومحاولاته تحريك القوى المختلفة لصالح فائده الشخصية¹، كما شهدت هذه الفترة نمو المماليك عكس الدولة العثمانية التي أصبحت تتراجع شيئاً فشيئاً التي كانت المتمثلة في الوالي الذي يعد صاحب القرار في البلاد ويرمز بوجود الدولة العثمانية إذا به يفقد حكمه، ويصبح نفوذه في تضاؤل مستمر في حين أخذت السلطة الفعلية تنتقل إلى أيدي المماليك فقد أصبح هؤلاء قوة يخشى بأسها حتى حلت محل الوالي².

وإلى جانب هذه الهيئات السياسية تنشط الهيئة العسكرية المتمثلة في الجيش العثماني.

• **ثالثاً:** كان يتألف الجيش العثماني الذي تركه سليم الأول بعد مغادرته من عدة فرق مثل المشاة والمدفعية والفرسان التي كانت موزعة بين القاهرة والمدن الكبرى، تتمثل مهمته في حفظ النظام عن الولاية³ يتكون من الأوجاقات العثمانية الستة، وأضيف إليها الأوجاقات المتفرقة يشرف عليهم الأغا⁴.

وفي مستهل القرن الثامن عشر انحل نظام الحاميات العسكرية في مصر بسبب عجز الدولة العثمانية في دفع مستحقات أفراد الحاميات حيث اضطروا للانخراط في سلك طائفة الحرف لإيجاد مصدر للعيش به، إضافة إلى زواج أفراد الجيش أدى إلى تدهور النظام الذي أصابه الفساد⁵. وأصبح يحتوي سجل الجند على عناصر لا علاقة لها بالجنديّة، وصار هذا الجيش اسماً فقط ولما فسدت الحامية فسد النظام بالكامل وإنهارت السلطة العثمانية التي ترتب عنها فتح المجال للقوات المملوكية⁶.

¹ ونتر، المرجع السابق، ص ص 115-116.

² محمد ضياء الدين ريس، تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية، ج1، د ط، مكتبة نهضة مصر، مصر، 1950م، ص ص 22-23.

³ عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517-1952م)، د ط، دار المعرفة الجامعية والاسكندرية - مصر، 1989م، ص 151.

⁴ هي كلمة فارسية تعني القائد، أنظر: يوسف الملواني، تحفة الأحياب لمن تولى مصر من المملوك والأحباب، د ط، دار الأفق العربية، القاهرة- مصر، د ت، ص 108.

⁵ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، د ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1997م، ص 49.

⁶ عبد الله، شوقي الجمل، المرجع نفسه، ص 49.

كما نلاحظ أيضا أن لقب الوالي الذي كان يطلق في بعض الأحيان على السلطان أصبح يطلق على حاكم مصر من الجانب السلطان العثماني بعد أن أصبحت مصر مجرد ولاية وليست دار سلطنة. وبالإضافة للهيئات السالفة الذكر كان لهيئة الديوان دورًا سياسيًا نشطًا.

• رابعًا:

يتألف نظام الحكم أيضا من ديوان¹ كبير إلى جانب الباشا كجهاز في إدارة أمور الدولة وحدد قانون نامة² الذي بمقتضاه يتم تنظيم الطريقة التي تدار بها شؤون مصر الإدارية. والجدير بالملاحظة في هذا القانون أنه أبقى على الكثير من التنظيمات المملوكية السابقة، وظلت الأمور تتضاعف إلى نهاية القرن الثامن عشر³. وعلى اثر ذلك أخذ هذا النظام يتدهور وينهار، وذلك لتفقر نظام الأوجاقات وتدهور حالتهم الأدبية وانحطت أخلاقهم بسبب ضعف الباب وانهزاماته، وفي حين أفقدتهم عيشة الخمول والكسل صفاتهم الحربية الأولى فتقربوا من بكوات المماليك، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح الديوان كله من صنائع المماليك وأتباعهم وأصبحوا يجتمعون ويسيرون أعضائه كيفما يريدون⁴.

تميزت الأوضاع السياسية في مصر خلال القرن الثامن عشر بعدم استقرار وتنازع السلطة بين العثمانيين والمماليك، فعلى الرغم من كون مصر ولاية تابعة للدولة العثمانية، فإن السيطرة على الأرض كانت بيد المماليك، الذين استعادوا نفوذهم تدريجيا واتسمت هذه الفترة بصراعات مستمرة بين الفرق المملوكية المتناحرة، والتي شهدت انعكاسا سلبيا على استقرار الحكم وإدارة الدولة، بالإضافة إلى ضعف في الجهاز الإداري وغياب الرقابة الفعالة من السلطة العثمانية فهي نفسها كانت تمر بمرحلة من التدهور والانكماش.

والأمر الذي شجع على محاولات الانفصال والتمرد في مصر خلال القرن الثامن عشر هو ضعف الدولة العثمانية وتدهور سلطتها المركزية، مما أدت إلى إزدياد نفوذ المماليك

¹ هي كلمة مأخوذة من التدوين بمعنى التقييد والتثبيت، وأول من أسسه في الإسلام عمر بن الخطاب. أنظر: أبي جعفر بن جرير
² وضع هذا القانون في عهد السلطان سليمان القانوني لتنظيم أمور ولاية مصر، كتتنظيم الإدارة العثمانية في مصر واختصاصات الموظفين بدءا بالباشا. أنظر: عبد الرزاق إبراهيم عيسى، تاريخ القضاء في مصر العثمانية (1547-1799م)، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، 1998م، ص 78.

³ الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288-1916م)، د ط، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون - الجزائر، ص 80.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 4.

وتدخل القوات الأجنبية وضعف الإدارة والجيش العثماني. وبالتالي كل هذا خلق بيئة مناسبة لظهور حركات التمرد ومحاولة للانفصال عن الحكم العثماني.

ب/ المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية في مصر

شهدت مصر خلال القرن الثامن عشر أوضاعاً اقتصادية معقدة تأثرت بجملة من العوامل سواء الداخلية أو الخارجية. فقد كانت البلاد تعاني من سيطرة المماليك وتنازعهم على السلطة، مما انعكس سلباً على الاستقرار الاقتصادي والإنتاج الزراعي.

من جهة أخرى تأثرت مصر بتراجع دورها التجاري بسبب طرق التجارة العالمية بعد اكتشاف طريق الرأس الرجاء الصالح مما قلل من أهمية موقعها، فقد أدت هذه العوامل إلى تدهور الأحوال الاقتصادية وتراجع مستوى معيشة السكان في تلك الفترة. وبداية الدراسة لهذه العناصر سوف تكون بالزراعة.

• الزراعة:

كانت الزراعة في مصر خلال القرن الثامن عشر تشكل المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد، فالزراعة هي بذرة مصر ونواتها بكل ما تعني الكلمة اقتصادياً وحضارياً¹، ورغم توفر عوامل إنتاج الزراعة حينذاك من أرض قابلة للزراعة، وعمل رخيص، ورأسمال، إلا أن الزراعة أصيبت بالتأخر. وزحفت البراري على الأرض الزراعية، وأصابها الخراب في كثير من القرى نتيجة لهدر السكان لها التي بدورها أدت إلى إهمال الثروة الزراعية بالإضافة إلى ذلك انتصر الإنتاج الزراعي غالباً على محاصيل موسم واحد². هو الموسم الشتوي وفي حين تعددت زراعة الأرض في معظم الأحوال وظلت المحصولات الصيفية كالأرز والقطن وقصب السكر ثانوية الأهمية، حيث اقتصرت زراعتها في الأماكن القريبة من النيل. وكان التأخر راجع لعدة عوامل تتعلق بطبيعة نظام الري الذي كان سائداً في تلك الفترة وإهمال الحكومة لوسائل الإنتاج الزراعي.³

¹ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، ط 2، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر 1986م، ص 191.

² عبد الرحيم، المرجع نفسه، ص 192.

³ عبد الرحيم المرجع نفسه، ص 191.

فقد كان هذا النظام السائد في مصر خلال القرن الثامن عشر، والجدير بالإشارة أن هذا النظام لديه عيوب كثيرة¹. في حين طبق العثمانيون عند فتحهم مصر إرجاع الفلاحين الهاربين إلى القرى وأكدوا على ذلك وعملوا على إنصاف الفلاح وتطبيق نظام الالتزام منذ الربع الأول من القرن السادس عشر².

وبقي هذا النظام قائماً إلى غاية القرن الثامن عشر الذي شهد تدهور وضعف سلطة الوالي وزيادة نفوذ المماليك³.

لجأ بعض الحكام من المماليك إلى ابتزاز الأموال وفرض الضرائب على جميع فئات الشعب المصري بهدف تمويل القوات المرتزقة وتلبية إحتياجات التسليح، وقد بدأ "علي بك الكبير" في هذه السياسة من خلال الاستيلاء على ممتلكات خصومه، وفرض إتاوات غير عادية على الفلاحين، بالإضافة إلى ممارسته الابتزاز التي استهدفت أهل الذمة في مصر حيث فرض على القرى أمولا، وحدد لكل بلدة مائة ريال وثلاثة ريالات كحق طريق⁴، مما أدى إلى استياء وتعطيل سبل الرزق وهجرة البعض من قريرتهم بعدما كان الفلاح شديداً التعلق بها⁵.

أما عن الثروة الحيوانية فهي جزء من مكونات الثروة الزراعية، فيمكن الحكم بأن اهتمام الفلاح لهذا الجانب وكان منصباً على تربية الحيوانات التي تعينه في عمله الزراعي خلال القرن الثامن عشر كانت ظروف الفلاح لا تسمح له بتربية مواشي وغيرها التي تلازمه في خدمة الأرض، فالحيوان هو الذي حظي بالمكانة الأولى عند الفلاح⁶.

ومما سبق نستنتج أن القطاع الزراعي في مصر خلال القرن الثامن عشر تدهوراً ملحوظاً، بسبب الإهمال وسوء الإدارة، إضافة إلى كثرة الضرائب المفروضة على الفلاحين، مما أدى بكثير من الفلاحين العمل في الأرض.

¹ عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 209.

² عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط 1، دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2007م، ص ص 94-95.

³ عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 95.

⁴ موسى موسى نصر، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، د ط، الهيئة المصرية للكتاب، د ب 1998م، ص 85.

⁵ عبد العزيز، المرجع السابق، ص 95.

⁶ عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 209.

ب/ الصناعة:

تأثرت أحوال مصر بالخلافات السياسية لأن مصر من طبقات الفقيرة¹، فقد أدت هذه الخلافات إلى حدوث تراجع ملحوظ في الصناعة لأن الشعب المصري كان يعيش في ظل ظلم وسوء الإدارة، في حين اشترك المسلمون والأقباط في الرغبة في التحرر والسيطرة²، وفي حين أصبحت صناعة مقصورة على عدد قليل من الصناعات أهمها المنسوجات الحريرية والأخشاب رغم ندوتها، بالإضافة إلى العسل وصناعة تفريخ البيض وغيرها من الصناعات الأخرى.

ولا بد الإشارة إلى الصناعات المنتشرة خلال القرن الثامن عشر في مصر كصناعة الأواني الفخارية والزجاج واستخدام روث الأبقار كوقود لأشغال النيران وغيرها من الصناعات الغذائية الأخرى الهامة³، بالإضافة إلى أصحاب الحرف الذين كانوا يهتمون بصناعات تقليدية على حال من الضنك والتذمر لما يفرضه الحكام عليهم من غرامات مالية مرتفعة⁴.

كانت الصناعة المصرية خلال هذا الفترة محدودة في طابعها لأنها تعتمد بشكل أساسي على الحرف اليدوية والصناعات المنزلية مثل النسيج والغزل وغيرها وصناعة الزجاج والخزف وكانت هذه الصناعات تخدم السوق المحلية ولا تهدف إلى التصدير على نطاق واسع.

• التجارة:

شهد التبادل التجاري خلال القرن الثامن عشر دورًا مهمًا في تنظيم الحياة الاقتصادية⁵ فقد شهدت أسواق الرقيق بمصر والدولة العثمانية وغيرها من العواصم الإسلامية العديد من الصفقات التجارية خلال القرن الثامن عشر، وصار تجار الرقيق طائفة حرفية كغيرها من الطوائف الأخرى تدعى طائفة الجلابة.

¹ محمد فرج، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، د ط، دار القومية للنشر والتوزيع، د ب، دت، ص 10.

² محمد فرج، المرجع نفسه، ص 11.

³ إلهام محمد ذهني، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن 18م، د ط، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، د ب، 1992م، ص ص 179، 181.

⁴ محمد عبد الغني، حسن العطار، ط2، دار المعارف، د ب، دت، ص 63.

⁵ عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 221.

وتعتبر خان الخليلى وسوق السلاح والصلبية الطولونية من أبرز أسواق الرقيق في القاهرة. وقد تنوعت تركيبات الممالك¹، حيث جاء بعضهم من جورجيا والقوقاز، بينما انحدر الممالك السود من أواسط وغرب إفريقيا، ووصلوا إلى مصر على يد الجلاية السودانيين والمغاربة والمصريين، بالإضافة إلى التجار الأوروبيين وبعض الأشراف والممالك².

تفاوتت أسعار الممالك وفقاً لأعمارهم وقدراتهم البدنية والعقلية ومهاراتهم المختلفة وفي القرن الثامن عشر لم تقتصر ملكية الممالك في مصر على رجال الطبقة الحاكمة فحسب بل أصبح بإمكان أبناء المجتمع سواء من المصريين أو من الأقليات الإسلامية الأخرى، شراء الممالك والجواري، وقد اعتنى الكثير منهم باعتبارهم طلباً للأجر من الله، حتى وإن كان المعتق فقيراً، كما اهتموا برعايتهم بعد عتقهم وتركوا لهم وصايا ضمن تركاتهم³.

ج/ المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية في بلاد مصر.

تعد الأوضاع الاجتماعية في بلاد مصر خلال القرن الثامن عشر انعكاساً مباشراً للتغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها البلاد في ظل الحكم العثماني وسيطرة الممالك. فقد عاشت مصر خلال هذا القرن في حالة التفاوت الطبقي الواضح والانقسام المجتمعي، حيث انقسم المجتمع إلى فئات متباينة من حيث النفوذ والثروة والبداية سوف تكون بطبقة العثمانيين.

1/ طبقات المجتمع المصري خلال القرن 18 م:

1- طبقة العثمانيين: وهم في قمة الهرم الاجتماعي وهي الطبقة الحاكمة على رأسها الباشا، يتوزعون في مناصب إدارية وإشرافية⁴.

2- طبقة الممالك: هم عنصر فعال في مصر⁵، وهم طبقة متميزة بالثراء والنفوذ⁶، وبفضل تلك الزعامات المملوكية التي أثرت على القوى المملوكية أصبحت تشكل الحكومة الفعلية في بلاد

¹ الذين كانوا يمثلون السلطة الثالثة في البلاد. أنظر: محمد فرج، المرجع السابق، ص 10.

² أحمد عبد الفتاح حسين، الجيش المصري في العصر العثماني، د ط، ددن، دب، دت، ص 148.

³ أحمد، المرجع نفسه، ص 148.

⁴ إلهام محمد ذهني المصدر السابق، ص 269.

⁵ محمد سعيد العشماوي، مصر والحركة الفرنسية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1999، ص 30.

⁶ إلهام، المصدر السابق، ص 271.

المصرية وعرفوا في الأخير بأنهم يشكلون الحزب الأقوى بسبب معرفتهم للبلاد وخوف الأهليين منهم¹.

3- طبقة العلماء ورجال الشرع: وهم العلماء ورجال الدين والمشايخ، كانوا يشكلون طبقة من طبقات المجتمع المصري².

4- طبقة المزارعين: وكانوا يشكلون الشطر الأكبر من الأمة، يعيشون في حالة يرثى لها من الجهل والفاقة، وكانت زراعتهم في تقهقر وتأخر، كما أنهم كانوا أكثر استهداف لمظالم الحكام، وفداحة الضرائب التي تحرمهم ثمرة كدهم وتجعلهم في حالة فقر مستمر³.

5- الطبقة الحرفية: كانت مكونة من عدد كبير من الطوائف المهينة التي كانت تمثل إحتفالات العامة والخاصة، فقد تمكنت هذه الطائفة أن تشرف على معظم المدن والصناع بالإضافة إلى هذا لم تقتصر طوائف الحرف في مصر في العهد العثماني على هذه الفئات فقط بل ضمنت أيضا فئات أخرى كالكتبة، والمداحين حتى الحرف الإجرامية والسيئة⁴.

6- طبقة الأقباط⁵: هم السكان الأصليون ينحدرون من سلالة الفراعنة عاشوا في رق وشقاء اضطهدهم الرومان فاضطر العديد منهم الهروب إلى الجبال، بالإضافة إلى ذلك هم أكثر الطوائف إثارة للاهتمام فيعتبرون أنفسهم أحفاد المصريين القدامى⁶. تولوا ونصبوا أهم الوظائف الإدارية والمالية في الدولة بالإضافة إلى انشغالهم بخدمة كبار رجال الأوجاق وكبار الأمراء وهذا الوضع جعلهم باستمرار على مقربة من صناع القرار في مصر⁷.

بالإضافة إلى ذلك كانت الأوضاع الاجتماعية في تدهور مستمر، مما أدى إلى عدة أزمات فقد عانى المجتمع المصري في العصر العثماني ظاهرتين كانتا لهما أثر جد كبير في تدهور معيشتهم، فقد عانى من أزمات كبيرة هما المجاعة والوباء، وضاق أحوال الناس

¹ سلوى عطار، التغييرات الاجتماعية في عهد محمد علي، ط1، دار النهضة العربية للطبع والنشر القاهرة، مصر 1989م، ص 14-15.

² إلهام، المصدر السابق، ص 274.

³ محمد فرج، المرجع السابق، ص 10.

⁴ نبيل السيد الطوخي، طوائف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1841-1890م)، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، مصر، ص 17-18.

⁵ يتسم وجوه الأقباط بسمة خاصة فالبشرة صفراوية دخانية اللون، مما يرجع إلى أصولهم اليونانية لا العربية، أنظر: إلهام محمد دهني، المصدر السابق، ص 279.

⁶ إلهام محمد دهني، المصدر السابق، ص 279.

⁷ مجدي جرجس، أثر الأرخبنة على الأوضاع القبط في القرن الثامن عشر، دط، د د ن، دب، دت، ص 9.

بسبب هذه الأزمات وقد كانت نتائج تلك الأزمات انخفاض عدد سكان مصر انخفاض كبير إلى حد قدرة الباحثين إلى حوالي أقل من مليون نسمة أيام حكم علي بك¹. وأهمها تلك الصراعات العسكرية التي نشبت بين المماليك لاستحواذ على المناصب الإدارية الكبرى، حيث كثرت الحروب بينهم طوال القرن الثامن عشر، وغالبا ما كانت بيوت المصريين تصاب جراء هذه الحروب والاضطرابات التي عاشتها البلاد² وكما تميز المجتمع المصري بالتنوع على المستوى الديني والعرقي بين سكانه.

فقد ربطت علاقات اجتماعية ذات مظاهر متباينة تمثلت في انفصال الطبقة العامة والطبقة الحكام³. ولم تربطهما سوى علاقة سطحية من الولاء الدولة ونظامها والشرعية الإسلامية⁴.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن مصر خلال القرن الثامن عشر مرت بمرحلة من التدهور السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فهي تمثل جزءاً من الانحدار العام الذي شهدته الدولة العثمانية الأمر الذي أوجد الظروف السانحة لظهور التذمر العام من السلطة العثمانية.

فقد كانت مصر تابعة رسمياً للدولة العثمانية منذ عام 1517م، لكنها تمتعت بنوع من الحكم شبه المستقل، في حين آخر سادت حالة من الفوضى السياسية نتيجة الصراع بين البكوات والولاة العثمانيين من جهة أخرى.

بالإضافة إلى أن الإقتصاد المصري شهد تدهوراً واضحاً بسبب كثرة الضرائب المفروضة على الفلاحين وسوء توزيع الثروة، بالإضافة إلى ذلك إنخفضت الإنتاجية الزراعية بسبب الإهمال وانعدام الاستثمار الري. في حين آخر شهدت التجارة تأثير سلبي نتيجة اضطرابات وضعف الدولة مع تراجع دور مصر كمركز تجاري.

¹ كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني (1517-1798م) المجتمع والتعليم، تق رؤوس عباس، ط1، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، مصر، 1997م، ص ص 87-88.

² عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، د ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، 1990 م، ص 87.

³ عبد الجليل التميمي، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، د ط، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1988م، ص 174.

⁴ عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية لاحتلال، والغزو البريطاني، د ط، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 992، ص 18.

ولا سيما تدهور الأوضاع المعيشية في الأخير لغالبية الشعب خاصة الفلاحين نتيجة الاستغلال من قبل المماليك وحياة الضرائب، بالإضافة إلى فوارق طبقية كبيرة.

2/ المبحث الثاني: أوضاع بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

شهدت بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة في ظل تبعيتها للدولة العثمانية التي كانت تمر بمرحلة مع التراجع والضعف التدريجي، وقد انعكست هذه التحولات على واقع السكان المحليين وعلى طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية في إسطنبول والولايات الشامية التي شملت مناطق دمشق، حلب، صيدا وطرابلس. كما اتسم هذا القرن بتزايد نفوذ القوى المحلية وظهور زعامات إقليمية قوية مثل الولاة والزعماء والإقطاعيين إلى جانب تدخل القوى الأوروبية في الشؤون الداخلية، وينصب هذا المبحث على دراسة الأوضاع العامة في بلاد الشام خلال هذه الفترة مع التركيز على الجوانب السياسية والاقتصادية لفهم طبيعة التغيرات.

أ/ المطلب الأول: الأوضاع السياسية في بلاد الشام.

شهدت بلاد الشام ضعفاً في السيطرة العثمانية مما أدى إلى بروز قوى محلية مثل ظاهر العمر في فلسطين، وقد عانت هذه المنطقة بعدة اضطرابات داخلية وصراعات طائفية، إلى جانب تزايد التدخلات الأوروبية خاصة من فرنسا وبريطانيا.

1- تثبيت النفوذ العثماني في الشام خلال القرن الثامن عشر:

في عام 1517م احتل السلطان سليم الأول سوريا الخاضعة لمماليك مصر، وفي العام الثاني استولى على القاهرة وقضى على دولة المماليك ودانت له الحجاز والسنتين الثانية خضعت بلدان إفريقيا العربية وكذلك العراق للسلطة العثمانية¹.

• مميزات النظام العثماني بالشام خلال القرن الثامن عشر:

تميز النظام العثماني في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر بتدخل مركب بين السلطة المركزية باسطنبول والسلطات المحلية، التي مارسن أدوار مهمة في شؤون الولاية وقد واجهت الدولة العثمانية في هذا القرن عدة تحديات داخلية خارجية، أدت إلى تنوع نسبي بين

¹ عبد الله حنا، حركة التمرد المماليكية القرنين 18-19م، ط1، دار ابن خلدون، 1985 م، ص 22.

الأقاليم ومنها بلاد الشام، وقد برز في هذا السياق ملامح واضحة لنمط حكم خاص بالمنطقة، يتجلى من خلال مميزات دور الولي وتنظيم الأوجاقات العسكرية وهيئات القضاء في الأخير والبدائية هذا المطلب سوف تكون بهيئة الوالي.

أولاً: كانت الدولة العثمانية تعين والياً على رأس كل ولاية، وكان بعض هؤلاء الولاة يحملون رتبة الباشا¹، وكان التجديد يعني تقديم إضافة للسلطان في دمشق من خلال تضائل استقرار الحكم في القرن 16-17 م عشر، ويقول بادبير أن دمشق شهدت 45 حاكمًا خلال فترة 1517-1700 م، و75 حاكمًا خلال القرن السابع عشر وهذا التناقض في أمد بقاء الحكام ولم يكن مقطوع الصلة بالحالة السائدة مما ساهم في تقليص سلطتهم، بالإضافة إلى ذلك إلى وجود قوى محلية ساهمت في تقليص نفوذ الولاية مما أدى إلى حدوث صراعات بين الطرفين².

وفي البداية كان هذا النظام يعتمد على كفاءة السلاطين وقوة إدارتهم بالإضافة إلى شخصية الولاة، لكن مع التراجع التدريجي للمؤسسة السلطانية التي حلت محلها سلطات الصدور العظام والدواوين ضعفت سيطرة الحكومة المركزية على الولايات مما أدى إلى اختلال التوازن بين سلطة الولاة والحاميات العسكرية والقوى المحلية. كثيرًا ما كانت تحدث انقلابات ضد الولاة المعيّنين من قبل الحكومة المركزية، وأحيانًا كان يتم اغتيالهم على يد السكان والقوى المحلية³، ويرجع ذلك إلى الروابط التي كانت تجمعهم مع العثمانيين الذين استخدموهم في أجهزتهم الإدارية والعسكرية. مما أدى إلى ضعف النظام مع تراجع قوة المركز وبالتالي ضعفت دور الولاة حيث ساهم هذا في التدهور والتقهقر في بروز الزعامات المحلية في الشام والتي تطورت وأنجز عنها الرغبة في الاستقلال.

ثانيًا: لقد لعبت الأوجاقات⁴ (المليشيات) الإنكشارية⁵، دور مهم حيث قامت بتأمين تفوق النظام الداخلي العسكري للعثمانيين خلال القرن الخامس عشر، وأواخر القرن السادس عشر،

¹ أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيفة فرج، ط2، دار الفكر، د ب، 1991م، ص 23.

² ريمون، المرجع السابق، ص ص 23-24.

³ ريمون، نفسه، ص ص 73-74.

⁴ تعني الموقد، وهو محور تجمع الأسرة ومصدر دفنها، ويطلق عليها الوحدات العسكرية الكبيرة والصغيرة، أنظر: جميلة معاشي الإنكشارية والمجتمع ببائك قسنطينة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2008 م، ص 8.

⁵ ريمون، المرجع السابق، ص 24.

كما ساهمت في المحافظة على النظام والأمن في الولايات لتغيير الأمور بعد ذلك ويتحول إلى أحد مفسدي النظام وذلك من خلال تدخلها في شؤون الحكم والإدارة¹.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر أظهر هؤلاء انعداماً في الانضباط حيث أجبر الإنكشارية الولاة في بلاد الشام على مغادرة المدينة وتحولت الحياة السياسية في المنطقة إلى صراع بين قوتين متنافستين على السلطة².

ويعود سبب تمرد هذه القوات إلى توقف علميات الفتوحات منذ القرن السابع عشر، حيث انتقلت من الهجوم إلى الدفاع ضد أوروبا، بالإضافة إلى ذلك سمح السلاطين بدخول جنود الإنكشارية³، مما أدى إلى انضمام عدد كبير من الأهالي وعامة الناس إلى صفوفهم، كما انخرطوا في الأعمال الحرفية والصناعية في صفوفهم، ثم سمحت لهم بممارسة حرفهم والاشتغال بالتجارة في أوقات السلم ولم يسمح لهم بحمل أسلحتهم في أوقات السلم خوفاً من قيامهم بحركات عصيان والتمرد. وتعتبر مثل هذا العمل كسراً للأسس التي تكون الجيش الإنكشاري، مما ساهم في هبوط المستوى الحربي والقتالي للجيش الإنكشاري⁴، بالإضافة إلى أن هناك العديد من الطامعين استغلوا هذه التمردات والعصيان في القفز إلى المناطق المستهدفة من السلطة⁵. ثم تأتي الهيئة الأخرى في التنظيم الإداري والسياسي بالشام والمتمثلة في القضاة.

ثالثاً: كانت إدارة الولاية تعتمد بشكل كبير على النظام القضائي الذي أرساه السلاطين

العثمانيون، حيث كان شيخ الإسلام⁶، وقضاة المعسكر⁷ يتصدرون هذا التنظيم، وكان هؤلاء

¹ روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير سباعي، ج1، ط1، دار الفكر، القاهرة- مصر، 2002م، ص 536.

² مانتران، المرجع نفسه، ص 536.

³ أماني المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة مصر، دت، 160.

⁴ المغازي، المرجع نفسه، ص ص 160-164.

⁵ المغازي، المرجع نفسه، ص 187.

⁶ أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، أطلق هذا اللقب تكريماً للأشخاص الذين عرفوا بتقواهم وعلمهم وقهم، وكانت مهمته مقتصرة على الواجبات الدينية وإعطاء الأحكام الفقهية، أنظر: أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر: هاشم الأيوبي، ط1، منشورات جروس برس، لبنان، 1992م، ص ص 25-37.

⁷ لقب وطيفي عثماني مهمته إدارة الشؤون القضائية والإدارية والبلدية باعتبارهم رؤساء على المناطق الموجودين فيها، وكان القضاة منذ بداية عهد الدولة حتى أواخر القرن السادس عشر انتقل إلى مشيخة الإسلام بينما ترك أمر توجيه المناصب الأقل درجة التي تشكل الغالبية لقضاة المعسكر، أنظر: أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، تر: صالح سعادوي: ج1، د ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول - تركيا 1999م، ص ص 296-297.

يشكلون الجهاز الأساسي في الإدارة العثمانية نظراً لاتساع صلاحياتهم¹. وفي القرن الثامن عشر كان من الضروري دفع رسوم باهظة لتولي هذا المنصب². حيث كان القاضي يضطر لدفع رشوة للشخص الذي يساعده في الوصول إليه. وبالتالي كان يمارس نفس الدور ويقوم بالرشوة لتعويض ما أنفقه، مما ساهم في انتشار الفساد وتعيين أشخاص غير مؤهلين في المناصب المناسبة، مما أدى إلى الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار³.

وفي الأخير عرفت أوضاع سياسة بأوضاع مضطربة تميزت بتراجع سلطة الدولة العثمانية المركزية وظهور قوى محلية قوية سعت للاستقلال أو التوسع على حساب الدولة مما أدى على تفشي الفوضى والصراعات الداخلية إلى جانب تدخل القوى الأوروبية في شؤون المنطقة. هذا بالنسبة للجانب السياسي، وبدون شك سيكون لذلك تأثير على الجوانب الأخرى منها الاقتصادي.

ب/ المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام

عرفت بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر تحولات اقتصادية هامة ارتبطت بتغيرات داخلية وخارجية أثرت في البنية التقليدية للاقتصاد المحلي. ففي ظل التراجع التدريجي للسلطة العثمانية المركزية برزت قوى محلية ساهمت في إعادة تشكيل الاقتصاد، بينما بدأ التأثير الأوربي في الازدياد من خلال الامتيازات التجارية والعلاقات المتنامية مع موانئ الشامية، وقد كان لهذا الوضع تأثير على الفلاحة والتجارة والحرف والبداية سوف تكون بالزراعة.

• الزراعة:

لقد تأثرت الزراعة بشكل كبير بالأوضاع السياسية المضطربة، حيث كان النظام الإقطاعي⁴، يشكل الهيكل الأساسي للمجتمع الشامي، وقد تحددت العلاقة بين أصحاب الإقطاعات والفلاحين بناءً على ارتباط الاقنان بأسيادهم الذين يتمتعون بحقوق كاملة عليهم، فقد

¹ ريمون، المرجع السابق، ص 25.

² عبد الله حنا، المرجع السابق، ص 29.

³ عبد الله حنا، المرجع نفسه، ص 29.

⁴ وهو أن يقطع أو يمنح ما أرضاً مقابل الخراج أو تمنح كاجر أو معاش مقابل خدمة ما، والإقطاع في المعروف العثماني وهو جملة الأرض، والأرض هي ملك للسلطان وصاحب الإقطاع منتفع بصورة مؤقتة، ولكن لم تكن الإقطاعات متساوية في الحجم والمردود. أنظر: حسان الحلاق، عباس الضباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية ذات الأصول الفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1999م، ص 21.

عانى الفلاحون من العقوبات المفروضة عليهم¹ والضرائب المرتفعة، مما أدى على تدهور أوضاعهم نتيجة سوء معاملة الإقطاعيين والملتزمين².

• التجارة:

كان للوضعين السياسي والعسكري في بلاد الشام تأثير كبير على التدهور الاقتصادي، حيث تعتبر التجارة ركيزة الاقتصاد في المدن الشامية³، في حين تأثرت تجارتها بشكل كبير نتيجة لزيادة النفوذ الأوروبي الذي تجلّى توسعته الجغرافية واستحواده على العديد من الطرق والمراكز التجارية⁴ الأكثر استخداماً والأكثر قرباً من إفريقيا وآسيا، وبالرغم من التغيرات التي حدثت في مسار الطرق التجارية بسبب الاكتشافات الكبيرة إلا أن الطرق القارية حافظت على أهميتها خاصة بالنسبة للمنتجات التقليدية (التوابل والاقمشة الشرقية) والتي أصبح الغربيون يسيطرون على جزء منها، وقد أضيف لهذه المنتجات إنتاج آخر وهو (البن) الذي أصبح أحد أسس الرفاهية⁵.

فمنذ القرن الثامن عشر بدأت ظواهر التصدع الاقتصادي نتيجة التغلغل التجاري الأوروبي الذي حول مسارات الطرق التجارية في المشرق الأدنى وأدخل منتجات تنافس المنتجات المحلية⁶.

وبهذا إنتهت حقبة تجارة المشرق الأدنى والغرب التي كانت تقتصر على المشرق الأدنى، مما أسهم في تراجع الاقتصاد العثماني وأدى إلى فقدان العثمانيين لتفوقهم البحري، كما أن تغيير موازين القوى بين المشرق والغرب أثر بشكل كبير على الصناعة في بلاد الشام، حيث أصبحت الشام بالنسبة لأوروبا مجرد مستعمرة للحصول على المواد الأولية وسوق لترويج منتجات الصناعة الأوروبية⁷.

¹ ريمة صغايري، ليلي خلف الله، محمد علي باشا وتوسعاته (1839-1805م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قلمة، 2016م.

² عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1914-1964م)، تق: أحمد عزت عبد الكريم، د ط، دار المعارف، مصر ذات، ص 266.

³ عبد الله حنا، المرجع السابق، ص 23.

⁴ خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الارناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، 2002م، ص 218.

⁵ ريمون، المرجع السابق، ص 172.

⁶ ريمون، المرجع نفسه، ص 173.

⁷ ريمون، المرجع نفسه، ص 173.

وقد اضطر الحرفيون الشرقيون إلى التخلي عن منتجاتهم التقليدية أمام تدفق المنتجات الصناعية الأوروبية المتفوقة إلى حد كبير، ولم يعد الحرفيون سوى مجرد باعة للبضائع المستوردة وقد صاحب هذا تغيير حدوث نمو لدور الأقليات التي لعبت دورًا وسيطًا للتجارة الأوروبية ولتسهيل دخولها إلى السوق المحلي، حيث أصبحت هذه الأقليات أكثر نشاطًا¹.

ومن جهة أخرى كانت بلاد الشام تمثل طريقًا للحجيج وما يقتضيه ذلك من تأمين رحلاته بما يتفق وهيبة الدولة وأصبح خادما للحرمين الشريفين². فمنها بدأت القوافل البرية الرئيسة والتي اعتنى بها الحكام العثمانيون لدرجة أنه كان الوالي يتولى بنفسه قيادة قافلة الحج³، وذلك بسبب آليات معقدة، وكانت الرحلة تستغرق على الأقل ثلاثة شهور من بينها (29 يوما) في الذهاب، ومثلها في العودة حيث في التقائهم فرصة للتجارة واعتمدت دمشق بشكل كبير كمركز تجاري⁴، حيث استخدمت القوافل التي تحرك عشرات الآلاف من الأشخاص كوسيلة لنقل المبادلات التجارية.

ويصعب تحديد قيمة هذه المبادلات بدقة، لكنها ساهمت في تبادل البضائع القادمة من جميع أنحاء العالم الإسلامي وكانت منتجات المغرب وأواسط إفريقيا، والبلقان والأناضول والشرق الأدنى تتجمع من مصر أو في سوريا حيث يتم تداولها في طريقها إلى الأماكن المقدسة⁵. وفي رحلة عودة تنقل القوافل منتجات الشرق الأدنى (منسوجات وتوابل وبن) التي توزع في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويضاف إلى ذلك أنه كان على الحجاج شراء احتياجات ولوازم تكفي رحلة تدوم ثلاثة أشهر⁶ لكن الوضع تغير فيما بعد بسبب ضعف التنظيم، بحيث تعرضت القوافل إلى عمليات نهب من جانب قبائل البدوية، ومن بين حوادث نهب الأكثر شهرة الحادث الذي وقع القافلة سورية عام 1757م⁷.

¹ ريمون، المرجع السابق، ص 173.

² الشلق أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516-1916م)، ط 1، دار مصر العربية للنشر

والتوزيع، مصر: 2002م، ص 72.

³ ريمون، المرجع السابق، ص 38.

⁴ ريمون، المرجع نفسه، ص 39.

⁵ ريمون، المرجع نفسه، ص 40.

⁶ ريمون، المرجع نفسه، ص 40.

⁷ ريمون، المرجع نفسه، ص 39.

ومما سبق يمكن القول أن الزراعة كانت النشاط الاقتصادي الأساسي إلا أنها تراجعت بسبب كثرة الضرائب وتدخل الدولة العثمانية في الإنتاج الزراعي، أما في جانب التجارة فتراجعت بسبب هيمنة الأوروبيين عليها واعتمادهم على وسطاء محليين. وكل ذلك انعكس على الجانب الاجتماعي الذي سنتناوله فيما يلي.

ج/ المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية لبلاد الشام

شهدت بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر أوضاعاً اجتماعية معقدة ومتغيرة في ظل الحكم العثماني، وما رافقه من تحولات داخلية وخارجية تميز المجتمع الشامي بالتنوع الديني والعرقي، حيث كانت الفوارق الاجتماعية واضحة، إذ تركزت الثروة والسلطة في أيدي كبار الإقطاعيين والعلماء والتجارة في حين عانى الفلاحون والحرفيون من الفقر وكثرة الضرائب، مما ساهم في تقاوم الانقسامات الاجتماعية داخل المجتمع الشامي من خلال مكوناته المتعددة التي نردها فيما يلي:

1- طبقات المجتمع الشامي خلال القرن الثامن عشر:

- تعددت مكونات المجتمع الشامي عرقياً وحرفياً لذلك شكل ذلك مزيجاً اجتماعياً فريداً، كان على هرم السلطة العثمانيون.
- **العثمانيون:** هم أعلى طبقة في المجتمع الشامي، امتلكوا الإقطاعات الواسعة وتحكموا برقاب الحكوميين خاصة الفلاحين والمستضعفين، وحيث امتدت إقطاعات على كامل صناعج الولاية¹، وتجاوزتها إلى ولايات الشام الأخرى بالإضافة إلى ذلك اهتمت هذه الفئة على تأمين مصالحها الشخصية على حساب المصالح العامة².
- **كبار المشايخ:** هم الذين ينتسبون إلى أسر عريقة كالمعنيين والشهابيين³.
- **عامة الناس:** هم من الطبقات العامة الناس في المجتمع، فقد قام الحكام من شراء الشرائح العامة الرثة واستخدمها ضد أبناء جلدتها من العامة، بالإضافة إلى ذلك كانت هذه الفئة إحدى عناصر الثورة المضادة لتحركات العامة إلا أنها شاركت في كثير من الأحيان في التحركات العامة وكان ضررها أكثر من نفعها⁴.

¹ يوسف جميل نعيصة، مجتمع مدينة دمشق: ج 1، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر د ب 1986م، ص 204.

² جميل، المرجع نفسه، ص 204.

³ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ط 1، الفارابي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 19.

⁴ عبد الله حنا، المرجع السابق، ص 19.

• **العلماء:** وفي هذا السياق شكل العلماء بما نسميه بالمؤسسة الدينية في جهاز السلطة العثمانية، بالإضافة إلى ذلك يتكون من مجموعة واسعة من الأفراد ابتداء من خطباء المساجد وأئمتها إلى المؤذنين والقوام¹، والخدمة والقراء والوعاظ وهؤلاء كانوا يعينهم القاضي لكي يتقاضون مداخيلهم من خلال الأوقاف، إلى جانب ذلك كانوا يمارسون وظائف التي يختارونها لهم²، ولا بد من الإشارة إلى أن العلماء كانوا يدرسون بالعربية على يد علماء دمشق وحلب ومصر، ويصنفون مؤلفاتهم بها حتى احتل العلماء العرب موقعاً متميزاً لأنهم يتخرجون من المدارس الدينية الكبرى المنتشرة في مدن العالم الإسلامي³.

• **الإقطاعين:** كانوا يتمتعون بالسلطة المطلقة في الإقطاعيات فقد كان الأمراء والشيوخ التابعين له يزودون جيشهم بالفرسان ويجنون الضرائب من السكان جميعاً مفرطين في الغنى⁴.
مما سبق يمكننا القول بأن مجتمع بلاد الشام في القرن 18م كان يتأثر بالدين والطائفة في حين كانت تركيبته الاجتماعية متداخلة ومعقدة تعكس التنوع الديني والعربي.

بعد التعرف على مكونات المجتمع الشامي سنحاول فيما يلي الوقوف على الأوضاع المعيشية لهذا المجتمع.

2- الحالة المعيشية:

تأثرت الطبقة العامة التي تمثل الحرف بسبب سيطرة الهيئة الحاكمة ولم تتمتع هذه الطبقة بالاستقرار حيث كانوا يخشون من المصادرة، وفي حين سعى الولاة للحفاظ على نظام الولاية وتغطية نفقاتها الخاصة⁵، غير أن ذلك اضطر الوالي العثماني إلى جباية الضرائب مبتدعة وغير رسمية لتأمين نفقاته الخاصة ونفقات الولاية العامة، غير أن بعض الولاة أسرفوا في فرض الضرائب التعسفية لدرجة لا تطاق. فعلاوة على الضرائب الرسمية كالأعشار والجزية ورسوم المواشي والجمارك، كان هناك ضرائب أخرى لا تدخل خزينة الدولة وإنما تذهب

¹ وجيه الكوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان 1988م، ص 43.

² وجيه الكوثراني، المرجع السابق، ص 43-44.

³ وجيه الكوثراني، المرجع نفسه، ص 42.

⁴ لوتسكي، المرجع السابق، ص 20.

⁵ لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر اسماعيل، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، 1987 م، ص 164.

إلى خزائن الولاية وكبار الموظفين، ففرضوا أيضا ضرائب خاصة على أشجار الزيتون وغيرها من الأشجار المثمرة. وفي حين هناك رسوم تفرض على المحلات التجارية والأماكن العامة في المدن¹، وبالتالي كثر الفساد والرشوة للوصول إلى مناصب هامة على حساب الطبقة العامة مثل: "الأمر بتطهير الأولاد الصغار وكسوهم بالثياب الجديدة"².

بالإضافة إلى سوء استخدام النظام الإقطاعي الذي تم تطبيقه في بلاد الشام حيث ساهم ذلك في ظهور قوى محلية أصبحت تلعب دور الوسيط بين الهيئة الحاكمة والرعايا، وقد أدى هذا الوضع إلى تفاقم خطر الصراعات المحلية إلى جزء من صراعات المجتمع³، ونتيجة لذلك ضعفت الإنتاجية الزراعية مما أثر سلبا على حالة السكان وضعفت تجارتهم وأسواقهم⁴، بالإضافة إلى ذلك أدت إلى إغلاق الدكاكين وامتناعهم عن البيع والشراء وبالتالي ساءت الأحوال المعيشية للبلاد وضعفت حركة الهجرة والقوافل التجارية⁵.

تميزت هذه الفترة بضعف السلطة المركزية العثمانية مما أدى إلى بروز نفوذ بعض الحكام المحليين، أما من الناحية الاقتصادية شهدت ركودًا مع استمرار الضرائب المرتفعة التي فرضها العثمانيون مما أدى إلى تدهور الزراعة بسبب الإهمال وسوء الإدارة، أما من الناحية الاجتماعية برزت عدة الفوارق الطبقيّة بين الفلاحين والحكام المحليين إلى جانب تنامي نفوذ رجال الدين والزعامات الطائفية.

¹ عوض، المرجع نفسه، ص 164.

² حنا، المرجع السابق، ص 25.

³ لوتسكي، المرجع السابق، ص ص 19-20.

⁴ الجميل، المرجع السابق، ص 159.

⁵ حنا، المرجع السابق، ص 162.

نستنتج في الأخير بأن مصر وبلاد الشام خلال القرن الثامن عشر شاهدوا أوضاعاً متشابهة من حيث ضعف الإدارة المركزية وازدياد نفوذ الزعامات المحلية مما أدى إلى تراجع شامل في مختلف المجالات سواءاً سياسية واقتصادية التي ساد فيها ركود نتيجة الضرائب المرتفعة وتدهور الزراعة والتجارة.

أما من الناحية الاجتماعية عانت من سيطرة النخب الإقطاعية وتزايد الفوارق الطبقية، بالتالي عرفت مصر والشام خلال هذا القرن مرحلة من التدهور والانغلاق من جميع النواحي سواءاً سياسياً أو إقتصادياً أو اجتماعياً.

الفصل الثاني: حركة «علي بك» الكبير في مصر خلال القرن الثامن عشر ميلادي

المبحث الأول: التعريف بـ "علي بك" الكبير.

- المطلب الأول: التعريف بشخصية علي بك.

- المطلب الثاني: وصوله إلى الحكم.

المبحث الثاني: سياسة الداخلية والخارجية لعلي بك الكبير.

- المطلب الأول: السياسة الداخلية لعلي بك.

- المطلب الثاني: السياسة الخارجية لعلي بك.

المبحث الثالث: نهاية علي بك الكبير.

- المطلب الأول: خيانة أبو الذهب ونزاعه مع علي بك.

- المطلب الثاني: وفاة علي بك الكبير.

شكل الحكم العثماني في مصر مرحلة حاسمة في تاريخ البلاد، حيث تميزت هذه الفترة بتحويلات سياسية وإدارية عميقة أثرت على طبيعة السلطة، ومن بين الشخصيات التي لعبت دورًا محوريًا في ذلك الحقبة كان «علي بك» الكبير، الذي تمكن من فرض نفسه كقوة سياسية بارزة في منتصف القرن الثامن عشر.

ولم يكن علي بك مجرد حاكم عادي، بل سعى جاهداً إلى تحقيق استقلال مصر عن الدولة العثمانية، مما أسس لسياسته حكم جديدة تتسم بالطموح والانفصال النسبي عن الدولة العثمانية، ويتناول هذا الفصل التعريف بهذه الشخصية والتعرف عن سياسته الداخلية والخارجية.

1/ المبحث الأول: التعريف بـ " علي بك " الكبير

كان «علي بك» إحدى الشخصيات البارزة في تاريخ مصر، وكان له دور كبير في مشيخة البلاد في الفترة العثمانية. لعب "علي بك الكبير" دورًا محوريًا في الصراع السياسي الذي نشأ بين القوى. فقد تمكن من الوصول إلى منصب " المشايخ " في فترة حرجة من تاريخها السياسي والاجتماعي.

لكنه سرعان ما واجه تحديات من قبل القوى الداخلية والخارجية، مما جعل منه شخصية مثيرة في تاريخ مصر، وفي هذا المبحث سوف نتناول فيه تعريف لـ علي بك وكيفية وصوله إلى الحكم.

أ/ المطلب الأول: التعريف بشخصية علي بك الكبير

هو يوسف بن داود المعروف بعلي بك، ولد عام 1728 م في إحدى إمارات الأناضول من أسرة طيبة فكان أبوه من قسس الكنيسة الرومية، في سن الثالثة عشرة وقع علي بك في أيدي جماعة باعته. فأحضره أحد التجار إلى مصر، وباعه بدوره إلى إبراهيم بك¹.

واعتنق يوسف الإسلام وتسمى باسم علي، وقد أتاحت لهذا المملوك فرصة الحج إلى مكة مع سيده إبراهيم بك شيخ البلد عام 1750 م، فأظهر ضروب الشجاعة والنضال ضد البدو ما حبه إلى سيده. فسماه " كاشفا " وعندما أوقع الباشا العثماني راغب محمد ببعض البكوات

¹ محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية، وظهر محمد علي، د ط، مطبعة المعارف، مصر، د ت ، ص 18.

المماليك على نحو ما تقدم انتهز إبراهيم بك هذه الفرصة فاستأثر بإحدى البكويات الخالية، ورفع اليه مملوكه على بعد أن حرره، وقد أثار هذا العمل النقمة على إبراهيم من جانب لأعدائه ومنافسيه¹.

وكان ذلك من أسباب قتله في النهاية اما علي بك صمم على الانتقام لسيده، وأخذ من ذلك الحين يتذرع بالصبر والحيلة لبلوغ ما يريده، فاشترى العدد الوفير من المماليك وأغدق العطايا على الأصدقاء والأعوان، حتي قوى شأنه لدرجة أثارت عليه حفيظة خليل بك شيخ البلد، فلم يجد عي بك مناصبا في تلك الآونة من الهروب الى الصعيد، وقتل خليل بك جماعة من اتباعه وأصدقائه، ومع ذلك فقد جمع علي بك حوله لكثير من المتذمرين من شياخة خليل بك، ونزل بهم في النيل. وهكذا انتهى المطاف بشيخ البلد الى الإسكندرية، وهناك مات مخنوقا، وبموته انفسح المجال لعلي بك فتسلم الشياخة في عام 1763م².

ويذكر أيضا المؤرخ الأوروبي ستافرو لانسيان وكان معاصر لعلي بك وملاصقا له، انه ابن قسيس الرومي أرثوذكسي من قرية أماسيا في الاناضول، وأنه ولد في سنة 1728م، ثم خطفه في الثالثة وعشر من عمره، وبيع في القاهرة للأمير إبراهيم كتحدا وبدأت معه رحلة التعليم والتدريب التي يمر بها المماليك³.

2- نشأة "علي بك الكبير":

كان المملوك⁴ يرقى السلم من أسفل درجاته، حيث بدأ في صف أولاد الخزنة الذين يعهد اليهم بحراسة الحزانة بفضل شجاعتهم وقوة سيوفهم. وكان سنجق يخصص في قصره ديوانا خاصا ومصرفا يخزن فيه أمواله وأسلحته، وعندما تشتد الحاجة ويضطر سيده للمغامرة أو الدخول في معركة لا يمكنه التخلي عنه، وينضم هذا المملوك الى جانب سيده ويقاتل بشجاعة فإذا أظهر براعة في القتال وحقق سيده النصر، يمنح فرصة إرخاء لحيته ويستمتع بمنصب

¹ محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 18.

² شكري، المرجع نفسه، ص 18.

³ سامي عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 2014 م، ص 516.

⁴ كلمة مملوك، هو اسم مشتق من ملك، وهو ظاهر المعني لا يجتاح لإيضاح، وقد ذكر المؤرخون أن منشأ من جهات " قفجان"، من شمالي آسيا، أنظر: أنور زقلمة، ثورة علي بك الكبير 1768 م، د ط، مكتبة انجلو المصرية، د ب، 1958م، ص 28.

خازندار، ثم يتقدم الى منصب كاشف. وكاشف اليوم قد يصبح سنجق الغد، مما يتيح له الطموح في زعامة زملائه والفوز بمنصب شيخ البلد¹.

ب/ المطلب الثاني: وصول علي بك الى الحكم

أنكب "علي بك" مجرد استئنائه بالحكم على الانتقام من قتلة سيده، فنفر منه قلوب البكوات المماليك وأوجد له الأعداء كثيرين، واضطر في النهاية إلى الفرار إلى بيت المقدس، ومع هذا فقد ظل أعداؤه في مصر يخافونه، وتوسطوا لدى الباب العالي بأمر الأخير حاكم القدس بتدبير قتل علي بك بيد أن أحد أصدقائه في الإستانة أسرع بإبلاغه ذلك ونصحه بالهروب من القدس، فغادر "علي بك" إلى عكا، وهناك استقبله حاكمها الشيخ ظاهر العمر بالحفاوة والإكرام. وفي عكا استطاع علي بك إنشاء الصلات مع بعض البكوات الموالين له في مصر.

كما كتب الشيخ ظاهر العمر إلى أصدقائه في مصر حتى يسعوا لدعوة علي بك، وبالفعل رجع علي بك واستلم مشيخة البلد، ومع ذلك فقد شعر أن مركزه في المشيخة لا يزال مهدداً ووجد أن يعتمد على الإدارة الهادئة لضمان الاستقرار منصبه. إلا أن أعداءه سرعان ما انتهزوا فرصة وفاة الصدر الأعظم في الإستانة في تلك الآونة وكان من اكبر مؤيدي علي بك وأصدقائه، فانقلبوا على شيخ البلد².

وفي سنة 1765 م أرغمه أصدقائه على الفرار إلى بلاد العرب فبقي «علي بك» هناك، ثم لم يلبث أن ذهب إلى فلسطين في ضيافة صديقة الشيخ ظاهر، ولبث حتى جاءت الدعوة الثانية للعودة إليها فرجع إلى مصر عام 1766 م، ولم يستقر له المقام نهائياً إلا في العام التالي.

وفي السنوات الأخيرة استتب الحكم لشيخ البلد فأنزل العقاب ببدا البحيرة الذين كانوا قد لجؤا إلى الثورة بمجرد عودته إلى مصر، فنهبوا وعاشوا الفساد في الوجه البحري، وعهد "علي بك الكبير" بعقابهم إلى أحد ممالكيه "أحمد" فقتل من البدو الكثيرين حتى لقب من ذلك الحين بلقب "بالجزار" وهو أحمد باشا الجزار الذي دانت له فيها بعد باشاوية عكا. وحتى يقوى مركز "علي بك الكبير" جمع الأعوان حوله فرفع في أثناء هذه السنوات الست إلى رتبة

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 52.

² شكري محمد، المرجع السابق، ص ص 18-19.

البيكوية ستة عشر من ممالكهم كما رفع أحدهم الى مركز أغا الانكشارية وكان من هؤلاء محمد بك وإسماعيل بك وغيرهم، وكذلك لم يغفل علي بك لإخضاع العربان المنتشرين في الصحراء، وعلى الحدود، واهتم بإنعاش الزراعة واستقرار الأمن في القرى وإطمئنان الناس لعدالته الصارمة¹.

2/ المبحث الثاني: السياسية الداخلية والخارجية لـ " علي بك الكبير " خلال القرن الثامن عشر

شهدت فترة حكم «علي بك» الكبير في القرن الثامن عشر تحركات سياسية مهمة، حيث عمل على تعزيز سلطته داخليا من خلال السيطرة على الممالك وإجراء إصلاحات إدارية. بينما سعى خارجيا للاستقلال عن الدولة العثمانية وتوسيع نفوذه في بلاد الشام والحجاز بتحالفات استراتيجية، مما جعل عهده مرحلة مفصلية في تاريخ مصر السياسي، وبداية المبحث سوف نتناول سياسية الداخلية لعلي بك خلال القرن الثامن عشر.

أ/ المطلب الأول: السياسية الداخلية لعلي بك الكبير

اتسمت السياسة الداخلية "علي بك الكبير" بطابع إصلاحية واستبدادي في آن واحد حيث سعى للانفراد بالحكم، وسك النقود الذهبية والفضية لسعى لحركة الاستقلالية. وسنتناول في هذا المطلب كيفية سياسة استقرار لعلي بك وبعدها كيف تم طرد الوالي العثماني والتخلص من السلطة العثمانية وكيف تم سك النقود في فترة حكم علي بك، وبداية المطلب سيكون بسياسة استقرار لعلي بك.

1/ سياسة الاستقرار لـ " علي بك الكبير ":

وقد أسفر علي بك عن سياسته² التي اعتمد لضمان استقرار أمور البلاد والتخلص من أعدائه فقام بتكوين جيش عسكري للقضاء عليهم، إلا أن أعداءه تكاثروا عليه، واضطر إلى الفرار من مصر إلى اليمن والحجاز، ففضى "علي بك" هناك زمنا يستطلع أحوال البلاد

¹ محمد شكري، المرجع السابق، ص 19.

² زقلمة، المرجع السابق، ص 57.

والمدن الساحلية على البحر الأحمر حتى وصل إلى فلسطين متفقدا أحوال البلاد التي كان ينوي أن يضمها لمصر¹. وقد أصبح علي بك شيخا للبلد لمدة ست سنوات بلا منازع متفرغا للإصلاحات الداخلية، فقد اعتمد علي بك على عدة إجراءات لاستقرار سياسة حكمه، وذلك بتكوين جيش عسكري قوي للقضاء على معارضييه وأعدائه.

أولاً: تكوين الجيش العسكري والقضاء على أعدائه ومعارضيه:

عمل "علي بك" على القضاء على المفسدين الذين يتدخلون في القضايا والدعاوي ويتحايلون لإبطال الحقوق بأخذ الرشاوي والجمال²، وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفي إلى البلاد البعيدة، ولم يراع أحد سواء كان متمما أو فقيها أو قاضيا أو كاتباً أو غير ذلك بمصر من البنادر والقرى والمفسدين، أيضا كما أنزل على قطاع الطرق من العرب، إلزام أرباب الإدراك والمقاوم بحفظ نواحيهم وما في جوزهم وحدودهم وعاقبت الكبار بجناية الصغار، وأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام وانكمشوا عن قبائحهم وإيذائهم بحيث أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا راكبا أو ماشيا ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى جهة ويبيت في الغيط أو البرية مطمئنا لا يرى مكروها أبدا³.

ولتأييد قوته الحربية⁴ جمع الأعوان حوله واستكثر "علي بك" هذه المدة من شراء المماليك وتربيتهم حتى أصبح له بهم جاه عظيم⁵، وقد زاد عدد مماليكه ليصل ستة آلاف، وضم إليهم عشرة آلاف متطوع من المصريين والمغاربة⁶، وبحارة اليونان كذلك⁷.

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 57.

² شيارو، المرجع السابق، ص 19.

³ زقلمة، المرجع السابق، ص 58.

⁴ زقلمة، المرجع السابق، ص 58-59.

⁵ زقلمة، المرجع نفسه، ص 59.

⁶ عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص 134.

⁷ هميلتون غب، هارولدبون، المجتمع الإسلامي والغرب، تر، أحمد ابيش، ج1، ط1، إصدارات دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، 2012 م، ص 323.

وكان بهذا أول من جند المصريين في خدمة الجيش من زمن طويل سابق لهذا العهد إذا كانت الخدمة العسكرية موكلة للمماليك وحدهم، فوجد "علي بك الكبير" أن رغبته بالاستقلال لا تتيسر الآن بإشراك المصريين¹.

كما سعى علي بك²، وتجمعت لديه قوة عسكرية كبرى دربها أحسن تدريب، وقد سبق أن ذكرنا أنه طلب من روسيا عقد محالفة وإن ترسل له بعثة عسكرية لتنظيم القوات العسكرية الحربية على النظم السائدة في أوروبا³.

ولما قويت مشيخته أصبح علي بك يستخدم دم أسلوب القتل والنفي لتخلص من منافسيه ومعارضيه، مستعيناً برفاقه وأقرانه والقوى التي تعرقل طموحاته في استلام والاستقلال بالحكم⁴، فبدأ بسيدته "عبد الرحمن كتحدا"⁵ بحيث أصدر قرار بنفيه إلى الحجاز سنة 1764م، كما تخلص في 1 سبتمبر عام 1768 م على منافس له في شياخة البلد هو "صالح بك"⁶.

بالإضافة إلى ذلك ولكي يحكم البلاد من شمالها إلى جنوبها اتجه مباشرة للقضاء على سويلم بن حبيب⁷، الذي طغى ونشر نفوذه في معظم البلاد الشرقية والقلوبية، كما ضم سويلم إليه أعداء "علي بك" إلى زعيم "قبيلة هواره"⁸ همام بن يوسف⁹، فأرسل حملة عسكرية

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 60.

² أنظر الملحق رقم: 1، ص 33.

³ زقلمة، المرجع السابق، ص 61.

⁴ زكريا سليمان بيومي، قراءة في تاريخ العثمانيين التحالف الصليبي الماسوني الإستعماري وضرب الإتجاه الإسلامي، ط1، عالم المعرفة، جدة، السعودية، 1991 م، ص 11-112.

⁵ بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء، وهي لفظ مشتق من الفارسية كت، بمعنى البيت، وكذا بمعنى الرب والصاحب أي رب البيت، أنظر: هريدي، المرجع السابق، ص 133.

⁶ تقلد منصب الحج عام 1758 م، اندمج مع قبيلة هواره بالصعيد، ووطد علاقته بشيخ همام، مما مكنه على أموره بالقاهرة، إلا أن علي بك تمكن من الغدرية بواسطة مملوكه محمد أبو الذهب، أنظر: صالح هريدي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، ج.م.ع، 2010 م، ص 136.

⁷ من أكبر عظماء مشايخ العرب بالقلوبية بمصر، أصله من مدينة أسبوط من شطب، إشتهر بالفروسية والشجاعة، كان سالم أكبر من أخيه وهو الذي تولى الرئاسة بعد أبيه، أنظر: عبد الرحمن حسن الجبرني، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تج: عبد الرحيم عبد الرحمن الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، ج، د ط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1997 م، ص 541.

⁸ هي قبيلة عربية أصلها هاجرت إلى المغرب العربي قبل الإسلام، ثم استقرت بعد ذلك في مصر خلال القرن الرابع عشر ميلادي، وقد تزايد نفوذهم إلى القوم وأصبحوا الحكام، واستطاعوا أن يقاوموا بنجاح الحملات العسكرية من القاهرة، أنظر: حسام محمد عبد المعطي، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، 1999 م، ص 87.

⁹ ولد حوالي 1709 م بفشرط وتوفي عام 1769 م وكان ابن للشيخ يوسف أحمد بن الشيخ أحمد همام الذي ألت إليه زعامة قبائل الهواره في أواخر القرن الحادي عشر الهجري إلى السابع عشر الميلادي، أنظر: إيمان محمد عبد المنعم، العريان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن الثامن عشر، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ب، 1987 م، ص 21.

بقيادة " محمد أبو الذهب " ¹، لكن الشيخ الهمام أمير قبيلة الهوارة طلب الصلح من أبي الذهب لكن أبو الذهب اعتبره خائن إن لم يطرد أعداء «علي بك الكبير» الموجودين لديه. وبعدها لجأ أبو الذهب إلى خطة بديلة تمثلت في تعاونه مع ابن عم الشيخ " همام إسماعيل " ومنحه رئاسة الصعيد وقضي عليه ²، في معركة أسيوط ³.

وهكذا قضى " أبو الذهب " على إمارة همام التي إنهارت نهائياً في عام 1769 م، فقد كانت دولة همام قائمة طوال أربع سنوات من 1765 م إلى 1767 م أو أطول من ذلك ⁴.

ثانياً: طرد الوالي العثماني والتخلص من السلطة العثمانية:

لم يتردد "علي بك الكبير" في إعلان استقلاله عن الدولة العثمانية ⁵، فبعدما عزل الوالي العثماني " محمد باشا " في أكتوبر عام 1767 م ⁶، ولم يسمح لأي باشا عثماني بدخول مصر ⁷، ولم ترسل الدولة العثمانية واليا إلا بعد مرور أربع سنوات، فأصبحت جميع الأوامر التي تصدر بإسم " باشا مصر " تصدر باسم "علي بك" دون إشارة إلى الوالي خلال فترة 1768 و 1772 م ⁸.

كما أن "علي بك الكبير" لم يلقب نفسه بسلطان مصر وخاقان البحرين ⁹، يذكر بعض المؤرخين أن شريف مكة هو الذي منحه هذا اللقب في عام 1769 م، وفي حين آخر هناك من استبعد وقال ربما منحه عبد الله هذا اللقب، واعترافاً منه بفصل علي بك في إعادته إلى شرافة

¹ هو مملوك علي بك الكبير إشتري سنة 1175 هـ، تقلد منصب السنجقية، وسبب تسميته بأبي الذهب لما تأمر، وليس الخلعة بالقلعة، صار يفرق البقاشيش ذهباً أثناء ركوبه ومروره على الفقراء حتى دخل إلى منزله فعرف بذلك حيث لم يسبقه إلى ذلك أمير، واشتهر عنه اللقب وشاع اسمه وسمع عن نفسه شهرته بذلك فكان لا يضيع في جيبه إلا الذهب ولا يعطى إلا الذهب. أنظر: مصطفى في بركات، الألفاف والوظائف العثمانية، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 273.

² لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1987 م، ص 25.

³ هي مدينة قديمة تقع غرب نهر النيل، أنظر: شهاب الدين الرومي البغدادي، معجم البلدان، م1، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1997 م، ص 193.

⁴ لويس عوض، المرجع السابق، ص 25.

⁵ ميخائيل شاروبيم، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج3، ط1، المطبعة الأميرية، مصر، 1998 م، ص 143.

⁶ مفيد الزاوي، العصر العثماني، د ط، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2009 م، ص 139.

⁷ رفعت، المرجع السابق، ص 58.

⁸ رفعت، المرجع نفسه، ص ص 58-59.

⁹ تعني السلطان الأعظم، أنظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د ط، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، لبنان، 1989 م، ص 271.

مكة. وأنهم لم يعتبروا "علي بك" سلطانا شرعيا أو حتى أنه كان مستقلا استقلالاً تاماً، لأن أولها علي بك لم يلقب نفسه في يوم من الأيام بهذا اللقب ولم يصادف احد من المؤرخون المعاصرون والمحدثون سواء من المصريين أو العثمانيون أو غيرهم اية إشارة إلى استعمال هذا اللقب¹. لكن «علي بك» رفض ذلك ونصب نفسه بنفسه، فائتمام للولاية وخير دليل على ذلك منشوره الذي وضعه في دمشق سنة 1771م².

ثالثاً: سك النقود الذهبية³ والفضية في عهد علي بك:

تعد النقود الذهبية التي ضربت بمصر إبان سيطرة "علي بك" على مقاليد الأمور بها خير دليل على المدى الذي ذهبت إليه حركته الاستقلالية، فهذه النقود مع غيرها من الشواهد والوثائق تدل على أنه لم يعلن استقلاله أو انفصاله الكامل عن الدولة رغم الحروب بينهما، وإنما كانت حركته التي جاءت أوسع نطاقاً وأعمق من سابقتها⁴.

فبعد أن إنفراد علي بك بالحكم سك النقود الفضية⁵ وجعل على أحد وجهها طغراء باسم السلطان مصطفى الثالث⁶، وعلى وجهها الآخر نقشت ضرب مصر، مع ملاحظة أن حرف الباء في ضرب واستخدام حرف الياء لكلمة علي. ويستحق الاعتبار من ثلاثة أمور أولها أن أحد وجهي العملة خصصت لظغراء اسم السلطان العثماني ودلالته. وثانيها أن علي بك أمر بنقش اسمه على الوجه الآخر، إشارة على توليه منصب القائمقام، وبعد ذلك أن كانت تلك العبارة تقرأ لضرب في مصر، وأصبحت في رسمها الجديد تدل على أنها ضربت بأمر من علي بك، وثالثها أن علي بك أمر بنقش سنة 1183 هـ إشارة إلى السنة التي ضربت فيها، وتخليداً للسنة التي نجح فيها بالانفراد بالسلطة على مصر⁷.

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 61.

² أنظر الملحق: رقم 05، ص 50.

³ أنظر: الملحق رقم 02، ص 85.

⁴ أحمد السيد الصاوي، نفوذ المتداولة في مصر العثمانية، ط1، مركز الحضارة العربية، د ب، 2001 م، ص 69.

⁵ مفيد الزاوي، المرجع السابق، ص 132.

⁶ هو السلطان السادس والعشرون للدولة العثمانية، ولد بادرته في 28 من جانفي 1717 م، تولى الحكم من 1757 م، إلى غاية وفاته 1774م، أنظر: صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، تر: مني جمال الدين، دار النيل، القاهرة، مصر، 2014م، ص 244.

⁷ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص ص 62، 63.

إن إقدام " علي بك " على إصدار النقود بمصر¹، ويرجع إلى حاجته في السيطرة المباشرة على الضربخانة²، فهو قد ابعده أحمد أغا في أوائل 1183 هـ، وعهد بنظارة الضربخانة إلى ورجل من لدنه وهو المعلم رزق النصراني، وكلفت له السيطرة المباشرة على نشاط دار الضرب وتحقيق ثلاثة أغراض أولها الحصول على الأرباح الناتجة من صهر العملات الأوروبية الفضية، وتحويل سبائكها إلى نقود فضية وضمان عيار المسكوكات الفضية التي تضرب بمصر. أما الغرض الأخير فهو تمكنه من سك إي مبالغ نقدية قد يحتاج إليها في تنفيذ أغراضه ونفقات مشروعه للاستقلال بمصر.

وضربت العملة الفضية في عهد "علي بك" وزن 354 غرام، ومن بين أنواعها الخمساوية التي تميزت بوجود حرفي " عل " بحيث يتخذ حرف " اللام " مع العين³، كما تميزت أيضا بأن أقطار القطع كانت أكثر تماثلا وأفضل إستدارة لأنها قطعت بواسطة المخرطة.

ففي إصدار الثاني لهذه القروش الذي تم عام 1183 هـ، سجل "علي بك الكبير" تاريخ تولي السلطان مصطفى الثالث للعروش في عام 1171م، ووضع فوق حرف الباء في كلمة ضرب رقمي الأحاد والعشرات لسنة الضرب الفعلية، وفوقها رقم 85، هو تقليد متبع في النقود الذهبية من الطراز الفندقلي⁴.

ومع ذلك توافق نقود "علي بك" تماما بعد إستيلاء " محمد بك " " أبي الذهب " على مشيخة البلد في عام 1186 هـ، حيث أعلن إبطالها في الإقليم المصري⁵. مما أدى إلى خسارة الناس جزءا من أموالهم، واقتصر إنتاج ضرب مصر من الفضة على الانصاف وحدها واعقب إبطال قروش علي بك الكبير، وإيفاف المعدات التي تستخدم في سكها، ولم يعثر علماء الحملة الفرنسية على أثر لها في دار الضرب بالقلعة.

¹ كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، تر: محمد مسعود، تق، أحمد زكريا الشلق، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2011م، ص 46.

² هي لفظ فارسي، دخل على العثمانيين، أطلق على سك النقود، أنظر: مصطفى الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 300.

³ الصاوي، المرجع السابق، ص ص 98 ، 99.

⁴ الصاوي، المرجع نفسه، ص 99.

⁵ الصاوي، المرجع نفسه، ص 101.

ونتيجة لإجراءات محمد علي الذهب فقدت العملات ضربها على نحو عشرين بالمئة من قيمتها، ويذكر فولني: " أنه قد سرى بين الناس زعم بان القروش علي بك كانت محملة بنسبة كبيرة من معادن خليطة غير الفضة، ويذكر أيضا أن واحد من التجار قد سرب منها إلى مارسيليا عشرة الاف قطعة فعادت عند صهرها بربح كبير ولو لم تكن هذه العملات قد فقدت عشرين بالمئة من قيمتها الإسمية لكان من المستحيل أن تحقق الربح عند نقل معادن الفضة"¹ وهكذا توفقت بعد الإستيلاء " محمد أبو الذهب " على مشيخة البلد².

وحسب رأيي أري بأن الحركة على بك استقلت بمصر استقلالاً فعلياً، لأنها اتبعت الدولة العثمانية من الناحية الإسمية. بالإضافة الى ذلك نجد علي بك لم يتخذ لنفسه لقب سلطان خلال فترة حكمه لمصر، وكان يرفض أن يذكر اسمه على المنابر، ودليل ذلك تبعيته للدولة العثمانية وسك النقود التي كانت تحمل اسمه الى جانب اسم السلطان العثماني مصطفى الثالث.

ويتضح من خلال دراسة السياسة الداخلية لـ " علي بك " في مصر خلال القرن الثامن عشر أنه سعي إلى كسر التبعية العثمانية وإحياء الحكم المحلي المستقل ولم يتردد «علي بك» في إعلان استقلاله فامتنع عن دفع الجزية للباب العالي وطرد الوالي العثماني من مصر وصك العملة باسمه وقد كانت النقود ثلاثة أنواع المحبوب³، الزنجيرلي⁴، الفندقلي⁵.

ب/ المطلب الثاني: السياسة الخارجية

شهد القرن الثامن عشر عدة سياسات خارجية في مصر تهدف إلى تعزيز السلطة علي بك كحاكم مستقل وفي هذا المطلب سوف نقوم بدراسة سياسته نحو العثمانيين والحملات التي قام بها خلال هذا القرن والبداية سوف تكون بسياسته نحو العثمانيين.

¹ الصاوي، المرجع السابق، ص 101.

² الصاوي، المرجع نفسه، ص 101.

³ مشتقة من كلمة الفارسية، زر أي الذهب ومن الكلمة العربية محبوب، أنظر: صمويل برنار، الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ج3، د ط، دار الشايب، 1993 م، ص 67.

⁴ لفظ فارسي السلسلة، حرفت على لسان العامة إلى جنزلي، وذكره الجبرتي بإسم الجنزلي، أنظر: عمر، المرجع السابق، ص 317.

⁵ هي كلمة تركية محرفة من الكلمة التركية ونديكلي بمعنى فندقي، أنظر: برنار صمويل، المرجع السابق، ص 66.

1/ أسلوب التودد (سياسته نحو العثمانيين):

لم يكن "علي بك" يستطيع أن يمضي في طريقه ما لم ينجح في التغلب على العقبة الكبرى التي طالما أودت بحياة عشرات مشايخ البلد وصناجقها، وتلك هي شكوك ديوان الاستانة. بالإضافة إلى ذلك عمل "علي بك" بمأمن من تلك الشكوك بفضل صداقته المتينة مع باشا الصدر الأعظم وصاحب النفوذ الأكبر في الديوان العثماني، لكن الوفاء الصدر الأعظم افقدت "علي بك" سنده الذي كان يحميه في حكومة الباب العالي عام 1763 م¹.

وعند ذلك إتبع "علي بك" الكبير سياسة التودد إلى العثمانيين القائمة على إطاعة السلطان وملاطفة ممثله في مصر، كرس نفسه لخدمة السلطان وتنفيذ طلباته بتعجيل ملئ مخازن البلاط بالاستانة من خيرات بلاد مصر².

بالإضافة إلى ذلك إهتم "علي بك" بإرسال صرة³ الحرمين إلى السلطان، وبذل جهد كبير في تجهيزها، كما لم يغفل عن إرسال الهدايا إلى السلطان ورجاله . فقد قيل من قبل الجبرتي في حوادث شوال أن علي بك: " هيا هدية حافلة وخيولا مصرية وإرسالها إلى اسلامبول للسلطان، ورجال دولته وأنه كتب مكاتبات إلى دولة ورجالها والتمس من الشيخ الوالد الشيخ حسن الجبرتي أنه يكتب له أيضا مكاتبات لما يعتقد من قبول علامه عندهم"⁴.

وبفضل السياسة التي إعتدها ضمن "علي بك الكبير" عدم معارضة الباشا والديوان لأعماله⁵، وفي ضل هذه التبعية نشط "علي بك الكبير" بإكمال تنفيذ خطته التي رسمها لإبعاد أي عقبة يمكن أن تصادفه وتعرضه في طريقه. ولم يكن شيخ البلد في مصر العثمانية يعتز بعدد ما يملك من ممالك، وبقدر ما يناصره من بكوات، فسعى "علي بك الكبير" لمحاصرة القاهرة مع "صالح بك" في أكتوبر 1767 م، حتى أرسل كل البكوات الذين نُفوا لمدة السنوات الثلاثة السابقة، وما أن تقرر له النصر حتى شرع في إزالة أنصار العهد السابق من عدة

¹ محمد رفعت، المرجع السابق، ص 36.

² رفعت، المرجع نفسه، ص 36.

³ عبارة عن مبلغ مالي كان يرسله السلاطين العثمانيين لمكة والمدينة في رحلات الحج ليتم توزيعها على فقراء المنطقة، أنظر: أوليا جيلي، الرحلة الحجازية، تر الصفصافي أحمد المرسى، د ط، دار الوفاق العربية، د ب، د ت، ص 35.

⁴ محمد رفعت، المرجع السابق، ص 36.

⁵ الشلق، المرجع السابق، ص 95.

المناصب الهامة، إما بالنفي أو القتل إلى جهات متفرقة وكانت عاداته بعد ذلك أن يشرع في قتل كل المنافي الذين أخرجهم إلى البنادر مثال دمياط ورشيد والإسكندرية والمنصورة، وكان يرسل إليهم بعض الأشخاص لخنقهم الواحد بعد الآخر وذلك بعد أن استولي علي أموالهم وأخذ التزاماتهم، ثم وزعها علي اتباعه الذين يعينهم بدلا منهم¹.

وبهذه الطريقة تمكن "علي بك الكبير" في ظرف أربع سنوات أن يقيم في أهم المناصب الحكومة بكوات من خاصة اتباعه فتولي إسماعيل بك دفتر دارية مصر وحسن بك تولي إمارة الحج وعين سليم أغا وسليمان بك كخيا لنفس الأوجاق، ولم يكن عبد الله كتخذ الباشا سوى عينه الساهرة لدى العثمانيين وسيتبين لنا فيما بعد ذلك².

وبهذه الطريقة استطاع "علي بك" أن يملأ مراكز السناجق الشاغرة من أنصاره أمثال "محمد بك أبو الذهب"، "مراد بك" و "ابراهيم بك" وأراد "علي بك" جاهداً أن يأمن شر الحامية العثمانية والديوان. فعمل على القضاء التام لنفوذهم والتقليل جهد الطاقة من عدد رجالها، باشتراكهم في الحروب الداخلية حتى هلك منهم الكثير من الأوجاقات، وأن علي بك لجأ أخيراً إلى حيلة مكررة لتشتيت ما بقي من رجال الفرق الذين كانوا قد التحقوا بها طمعاً، إذا أخر علي بك دفع رواتبهم لمدة ستة أشهر متعللاً بقلّة المال، ولما استند بهم الحال وذاقت أنفسهم مرارة الحرمان، مع عجزهم من السلب ونهب لعناية علي بك بالأمن والعدل قبلوا تسلم نصف رواتبهم، ولم تعد الجندية مطمعا للأولئك الذين لم يعرفوا سوى التجبر والنهب، لما ضاق بهم الحال وعجزهم عن النهب في ضل حكم "علي بك" أخذوا يبحثون عن عمل آخر³.

ولإتمام خطته إنتهز "علي بك" فرصة طلب السلطان بإرسال له مجموعة من المجندين لإشراكهم في حروبه مع روسيا⁴، وكانت رغبة السلطان أن يضرب عصفورين بحجر واحد، وهو أن يستفيد من جيش "علي بك" المدرب القوي بالحصول على إمداد قوى عظيم وفي نفس الوقت أن يضرب نظره عن تركيا، وهي مشغولة في حروبها فقد وافقت رغبة السلطان في

¹ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 39.

² رفعت، المرجع نفسه، ص 39.

³ رفعت، المرجع السابق، ص 40.

⁴ زقلمة، ثورة علي بك، المرجع السابق، ص 60.

هوى نفي علي بك. وفي الحال شرع في حشد خصومه ومناوئية من السناجق وضباط الحاميات العثمانية وضباط المماليك وأرسلهم إليه بقيادة شخص يسمى " سليمان بك الشابوري " وبدأ نفي "علي بك الكبير" لأعداءه وخصومه¹.

وهكذا أفسد "علي بك الكبير" سياسة السلطان بحيث ساق خصومة وأعداءه من حيث لا يعلمون ولا يستطيعون له عصيانا²، ولما أدرك ضعف الدولة العثمانية من الناحية السياسية والعسكرية من خلال حروبها مع روسيا أعلن تمرده على الدولة العثمانية³.

2/ حملات "علي بك" في الحجاز والشام:

شهد القرن الثامن عشر حملات في مصر تهدف إلى تعزيز سلطة، وفي هذا المطلب سوف نتناول الحملة الحجازية والشامية وبداية سوف تكون بالحملة الحجازية في مصر:

أ- الحملة الحجازية في مصر:

• أسباب الحملة الحجازية في مصر

كان "علي بك" هو أول من توجه نحو الأراضي الحجازية⁴، بعد أن استحوذ على الحكم في مصر⁵، ولقد أتاحت له فرصة عندما نشب النزاع حول الشرافة في الحجاز بين " الشريف أحمد " الذي كان في الحكم وابن عمه " الشريف عبد الله "، الذي تمرد عليه. وكان هذا الصراع سمة بارزة للأشراف في تلك الفترة. حيث كانوا دائما في الصراع وتنافس على السلطة رغم الروابط القوية التي كانت فيما بينهم⁶.

فحينما حضر الشريف عبد الله إلى مصر مستنجدا "علي بك" بعد أن تغلب عليه الشريف أحمد⁷، اتخذ "علي بك الكبير" من تلك الحادثة ذريعة لشن حملة كان ظاهرها مساعدة

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 60.

² زقلمة، المرجع نفسه، ص 61.

³ توفيق الطويل، التصوف في مصر أبان العصر العثماني، مكتبة الآداب، مصر، دت، ص 30.

⁴ مشتقة من كلمة حجز، يحجزه حجزا، أي يمنعه بحيث تهامة، ونجد أي منع كل واحد منهما، أن يختلط بالآخر، ويقع إقليم الحجاز في الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية يحدها غربا البحر الأحمر، وجنوبا ببلاد عسير وشمالا الشام، أما الشرقية فلم تكن حدوده ثابتة طوال العصر العثماني، أنظر: عبد المعطي، المرجع السابق، ص 75.

⁵ حسن، المرجع السابق، ص 25.

⁶ عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص 135.

⁷ عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 136.

" الشريف عبد الله " بينما كان هدفها الحقيقي هو تعيين شريف من اختياره، كما كان يسعى إلى الشهرة التي سيحققها من خلال حماية الحرمين الشريفين¹، وما كان سيستفذه من نفوذ في مصر وهيبة في بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام².

ولم تكن أطماعه السياسية هي الدافع الوحيد، بل كان يهدف أيضا إلى المشروع الاقتصادي والمتمثل في تأمين الشواطئ الشرقية للبحر الأحمر³ والسيطرة على التجارة وإحيائها من جهة أخرى⁴ وجاء ذلك بعد أن لاحظ سيطرة شريف مكة على الحقوق الاستراتيجية والاقتصادية لمصر، من خلال منع السفن التجارية المتجهة شمالا في البحر الأحمر نحو ميناء جدة⁵. وبعد نهايتنا من دراسة لأسباب هذه حملة سوف نتطرق إلى كيفية سير هذه الحملة وأهم نتائجها.

• سير الحملة الحجازية في مصر ونتائجها:

كان اهتمام علي بك بتجهيز الحملة المصرية كبيرا، حيث أتم جميع الاستعدادات اللازمة، وقدم لها ما تحتاجه من ذخيرة وعتاد ومؤن وإتجه صوب بلاد اليمن وأرسل ألفين مقاتل لضم اليمن وقوة أخرى مكونة بقيادة أحد ضباطه " إسماعيل بك " ⁶ لاحتلال شاطئ البحر الأحمر الشرقي وضمه إلى ممتلكاته⁷.

كما ضمت الحملة المصرية ثلاثة آلاف من الجند إضافة إلى ثلاثين مدفعا⁸، يقودها " محمد أبو الذهب " ⁹.

¹ الرافي عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطورها الحكم، ج1، ط1، مطبعة النهضة، مصر، 1929م، ص 22.

² الرافي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 22.

³ الرافي، المرجع نفسه، ص 22.

⁴ شيارو، المرجع السابق، ص 19.

⁵ حسن، المرجع السابق، ص 25.

⁶ تقلد الصنجدية في 30 أكتوبر 1784 م، والدفتار دارية، وإمارة الحج يعد من إتباع علي بك الكبير، وخرج مع محمد أبو الذهب إلى الشام كما أنحاز إلى جانبه في صراعه مع أستاذهم علي بك أسندت إليه رئاسة مصر 1786 م، لكنه لم يدم طويلا بسبب موته بالطاعون الذي عم البلاد 1798م، أنظر: أحمد الرشدي، حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تح: ليلي عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، مصر، 1880م، ص 222.

⁷ محمد صبري، تاريخ العصر الحديث من محمد علي بك اليوم، ط2، مطبعة مصر، د ب، 2000م، ص 23.

⁸ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 141.

⁹ سامي عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي الكويت، 2014م، ص 517.

في جويلية 1770 م¹، أرسلت مصر مجموعة من المدافع ومعدات القتال متجهة نحو بلاد الحجاز، وعند وصولها إلى ينبع، اندلعت معركة ضخمة بين جنود الحملة وقبائل العرب والأشراف وانتصرت فيها القوات المصرية، قتل والي ينبع المعين من قبل أمير مكة، واستمر قائد الحملة " محمد أبو الذهب" في تقدمه حتى وصل إلى مكة، وفي تلك الأثناء فر " الشريف أحمد " هارباً، مما أتاح للجنود الاستيلاء على ممتلكاته وأملاكه، وعين ابن عمه الشريف عبد الله خلفاً له. كما أرسل أحد أتباعه من المماليك للاستيلاء على جدة وعزل الوالي العثماني².

إلا أن الشريف السابق لم يرض بما حدث، فجمع حشداً من جنوده وقصد الطائف فدخلها دون قتال واغتصبها من الشريف عبد الكريم بن حسين أخ شريف مكة، ولكن أبا الذهب انتصر عليه مرة أخرى، مما اضطره إلى طلب الصلح بعد قتال شديد بينهما فتخلى عن الولاية للمرة الثانية والأخيرة³.

وقد استطاع "علي بك" أن يفرض مرشحه شريفاً على مكة⁴. كما تمكن في تلك الأثناء تقديم حسن بك بتعين السنجق المصري على رأس فرقته في جدة، واستولى عليها بإسم علي بك، ثم تولى حكمها بدل من الباشا الذي كان يديرها، من طرف السلطان العثماني، وإن تلك العمليات الحربية كانت في فترة وجيزة لم تستغرق أكثر من شهر واحد وفترة الحملة كلها لم تتجاوز ستة أشهر، بما في ذلك فترة الذهاب وإيابا⁵.

كما استطاع أيضاً أن يخضع جزيرة العرب ويمد سلطته على سواحل البحر الأحمر⁶، وبسط نفوذه على ميناء الحجاز وعين عليها العمال والموظفين المصريين ومن خلالها إتصل عمال "علي بك" الكبير بضباط البحرية الإنجليزية وتبادلاً الرسائل بينهما، وكانت نتيجتها تأسيس شركة صغيرة للتجارة. وكما عمل لعقد معاهدة تجارية لصالح البلدين معاً⁷.

¹ سامي عبد الله المغلوث، المرجع السابق، ص 517.

² عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص 136.

³ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص ص 142-143.

⁴ الجميل، المرجع السابق، ص 279.

⁵ رفعت، المرجع السابق، ص ص 142-143.

⁶ رفعت، تاريخ مصر السياسي، المرجع السابق، ص 10.

⁷ زقلمة، ثورة علي بك الكبير، المرجع السابق ص 72.

وفي فيفري 1773م أصدر فرمان إلى شركة الهند الشرقية التجارية يخبرها فيها عن حرية الملاحة في البحر الأحمر، ودخول ميناء السويس¹. وقد شجع نجاح حملة الحجاز "علي بك" لأن يتطلع إلى إرسال حملة نحو بلاد الشام لتوسيع نفوذه².

وبعد الانتهاء من دراسة الأسباب وسير الحملة الحجازية في مصر، سوف أشرع في دراسة حملة علي بك في بلاد الشام.

ب- حملة "علي بك الكبير" على بلاد الشام:

• أسباب الحملة الشامية:

بعد ضم بلاد الحجاز بدأ "علي بك" يستعد للسيطرة على الشام³ لإدخالها في نطاق وسلطته⁴، كان السبب الظاهر وراء هذه الحملة هو تأديب والي دمشق "عثمان باشا" بسبب إيوائه للمصريين الهاربين من "علي بك الكبير" ورفضه وامتناعه تسليمهم⁵، إضافة إلى إساءة هذا الحاكم في إدارة شؤون الحكم، وفي حين كان هناك تذرر واسع من الأهالي بسبب ظلمه لهم. كما تعرضت قوافل الحجاج للاعتداءات المتكررة، مما ألحق الأذى بالمسافرين والتجار، وتعرضت حرمة الدين للاعتداء، فضلاً عن إذلاله العلماء⁶.

ومن الواضح أن هذا التبرير لا يكفي لتفسير الحملة، بل تم استخدامه كذريعة ظاهرة من قبل "علي بك" للإشاعة بين الناس⁷، فلم يكن "عثمان باشا" مقصوداً لذاته، بل كان بصفته يمثل الدولة العثمانية في بلاد الشام، فمن غير المعقول أن تشن حملة ضخمة مثل: الحملة المملوكية التي استمرت لأكثر من ستة أشهر بقصد القضاء على شخص واحد مهما كانت قوته ونفوذه⁸.

¹ زقلمة، ثورة علي بك الكبير، المرجع السابق، ص 73.

² أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، د ط، هنداوي، مصر، د ت، ص 30.

³ عاطف عبد، المرجع السابق، ص 10.

⁴ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1966م، ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ت، ص 148.

⁵ عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص ص 166-167.

⁶ عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص 167.

⁷ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 170.

⁸ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 170.

وإنما كان "علي بك" شخصًا طموحًا النفس واسع المطامح يسعى إلى مشروع توسعي يهدف من خلاله إلى مساعدة صديقه "ظاهر العمر" وتأمين مصر من الجهة الشمالية الشرقية¹، ولإقامة سلطنة مركزها مصر².

وجناحها الشرقي هو الحجار والشمالي نحو سوريا، مما يتيح الوصول إلى بلاد الأناضول العثمانية واسطنبول، من جهة أخرى، وحماية مصر من خطر وتهديدات الباشوات العثمانيين لضمان أمنها من أي خطر يداهمها عن طريق الشام³، وكذلك لإتمام خطته الهامة نحو إحياء الطريق العالمي بين الجهة الشرقية والغربية⁴.

ومن جهة أخرى ساعدته تلك الظروف المتمثلة في الحروب التي كانت بين العثمانيين وروسيا، إلى تمرد الشيخ "ظاهر العمر الزيداني" على السلطة من جهة أخرى.

• سير الحملة الشامية ونتائجها:

لم يمض وقت طويل على عودة "محمد أبو الذهب" من حملته الناجحة في الحجاز⁵، حتى أرسله "علي بك" في عام 1770⁶، على رأس جيش قوامه أربعون ألف جندي. كما قام بتجهيز أسطول بحري من دمياط⁷ إلى عكا⁸، كما أرسل رسالة إلى أعيان دمشق يوضح فيها أسباب ودوافع الحملة التي قام بها⁹.

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 170.

² إبراهيم، الجميل، المرجع السابق، ص 55.

³ رفعت، المرجع السابق، ص ص 170-171.

⁴ M.c.F. Volney, voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783-1784 et 1785. Edition originale, paris, 1787, p 85.

⁵ أنظر: الملحق رقم 4، ص 517.

⁶ زقلمة، ثورة علي بك الكبير، المرجع السابق، ص 61.

⁷ تقع شرق النيل، وإسمها القديم temat والقبطي temait ومنه إستمد إسمها العربي دمياط، أنظر: محمد زمري، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية في عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، ج2، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص 48.

⁸ مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أنظر: عبد الرحمن بن الرحمن الجبرتي، مظاهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تج: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر 1998م، ص 48.

⁹ أنظر الملحق السابق رقم: 5، ص 50.

وبدأت الحملة سيرها برا في ديسمبر سنة 1771م، عندما وصل " محمد أبو الذهب " إلى بلاد الشام واستولى عليها¹ دون متاعب واحدة تلوى الأخرى بداية بغزة²، ثم اتجهت الحملة إلى الرملة وصادقت حملة " إسماعيل بك " فانضموا إليها وأخذوا الرملة³ وحاصرها وفي الأخير وإستطاع ضمها في نهاية المطاف.

في حين قرر " محمد أبو الذهب " على دخول وحصار بيت المقدس، فخرج إليه حاكم المدينة وكبير قضاتها وممثلوها مرحبين به وقدموا له هدية قيمة وعرضوا عليه الدخول إلى المدينة دون قتال إحتراما لقدسيته فوافق على طلبهم⁴. ثم إتجه نحو " يافا " التي إستسلمت بعد شهرين من حصارها.

في حين إتجه نحو عكا حيث عسكر ضواحيها منتظراً وصول جيش " الشيخ ظاهر العمر " الذي لم يتوان عنه مساعدته، وكون جيشا يزيد نحو عشر ألف جندي وتوجه الجيش المشترك نحو صيدا واحتلها، ولم يتبق أمامه سوى إحتلال دمشق ليصبح حاكماً لسوريا الوسطى⁵.

وفي هذه الأثناء جهز " عثمان باشا " حملة جرارة قدرها مائة ألف مقاتل والتقى الجيش بدمشق وتمكن " محمد أبو الذهب " من ضرب حصار عليها في أفريل 1771م⁶، وفي الوقت الذي كان ينتظر الجيشان المتحالفان إشارة الاستسلام، قرر أحدهما التراجع عن خطته وجمع فرسانه للعودة إلى مصر، وقد أرجع سبب هذه الحادثة إلى ما شاع عن وفاة " علي بك " ⁷.

لكن الحقيقة هي أن " عثمان باشا " عندما كان على وشك الهلاك، أرسل إليه مبلغا ثقيلا من الأموال ليحثه على التراجع عن محاربته وأخباره بعواقب إنتقام الدولة العثمانية من "علي بك".

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 165.

² مدينة فلسطينية قديمة تقع في القطاع الذي عرف بإسمها قطاع غزة، أنظر: عبد الرحمن بن الرحمن الجبرتي، مظاهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، المرجع السابق، ص 47.

³ مدينة فلسطينية، تعتبر الجسر الذي يصل يافا بالقدس، أنظر: الصباغ، المصدر السابق، ص 58.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 165.

⁵ محمد كرد علي، خطط الشام، ج2، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، د ت، ص 291.

⁶ رفعت، المرجع السابق، ص 165.

⁷ ميخائيل العكاوي، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، مصر، 2010م، ص 94.

وفي نهاية المطاف تمكن من إقناعه بتغيير رأيه¹.

وقد أسفر ذلك عن تمكنه من بسط نفوذه على دمشق وفتح الطريق نحو جبال طوروس²، مما أدى إلى خضوع سوريا بالكامل لـ "علي بك" لكنها لم تدوم طويلاً ومع انسحاب القوات المصرية من دمشق³، انتفت حوله جميع العناصر المعارضة لـ "علي بك" تلك التي سلبها نفوذها ونفيت إلى الصعيد وأهمها قبائل الهوارة وأتباع "صالح بك" مما أضاف إلى صفوفه عدد كبير من المؤيدين.

وإتجه عام 1772م، نحو القاهرة، وكان من الصعب على "علي بك" أن يرى صرح أحلامه ينهار، فعزم علي تأديب مملوكه وجهاز جيشا عظيما بقيادة "اسماعيل بك" الذي كان الورقة الراحلة لـ "محمد أبي الذهب"⁴، والتقى الجيشان شمال "بن يوسف"⁵ تجاه بياضة⁶، بعدها فشل "علي بك" حينها أمام طلائع "أبي الذهب" وفر بعدها إلى صديقه "ظاهر العمر" وغادر القاهرة (مصر) في 12 أبريل 1771م⁷ ومن جهة أخرى عاد "عثمان باشا" إلى دمشق وقرر بعد فترة وجيزة من استراحة الانتقام من القوى التي تحالفت مع "علي بك"⁸.

وبعد الانتهاء من دراسة الحملات التي كانت في مصر، سوف أشرع في دراسة أهم معاهدات علي بك الكبير مع روسيا القيصرية والبنديقية.

¹ جهاد بنوت، حركات النضال في جبال عامل، ط1، دار الميزان، بيروت، لبنان، 1993م، ص 109.

² يطلق إسم طوروس على مجموعة الجبال ممتدة من نيقية غرب إيطاليا حتى بحيرة وإن إمتداد 25 كم. انظر: س مستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزن، بيروت، لبنان، 1993م، ص 109.

³ بنوت، المرجع السابق، ص 109.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 182-183.

⁵ عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ج م ع، ص 47.

⁶ قرية قديمة تابعة لبني يوسف، إسمها الأصلي بياض، وفي تاريخ 1810م، أصبح يطلق عليها بياض النصاري إلى يومنا هذا. أنظر: عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تج: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج3، د ط، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1998م، ص 54.

⁷ رفعت، المرجع السابق، ص 184.

⁸ بنوت، المرجع السابق، ص 109.

3- معاهدات "علي بك الكبير" مع روسيا القيصرية والبندقية:

شهد القرن الثامن عشر بروز عدة معاهدات والاتفاقيات في عهد "علي بك الكبير"، وقد جاءت هذه المعاهدات ضمن الانفصال عن الدولة العثمانية وتأسيس كيان مستقل، وتتناول هذه جزئية معاهدات "علي بك" مع روسيا والبندقية وبداية سوف تكون بمعاهدة مع روسيا القيصرية:

• معاهدة "علي بك الكبير" مع روسيا القيصرية:

سعى "علي بك الكبير" للتحالف مع الدول المعادية للدولة العثمانية وعلى رأسها روسيا القيصرية التي كانت في حالة حرب مع العثمانيين رغبة منها في إضعاف تركيا¹. فقد استغل "علي بك" هذه الظروف لتعزيز علاقته مع الروس، وعقد اتفاقية معهم عبر قائد الأسطول الروسي²، الذي أبدى ترحيباً بفكرته وأشار إلى دعم دولته له³، فطلب منهم مساعدته في حملته على بلاد الشام⁴، متطلعاً إلى الحصول على الذخائر والأسلحة، بالإضافة إلى تزويده بمدافع للحصار⁵ مقابل منح الروس بعض المدن⁶ والسماح للسفن الروسية بالعبور عبر الموانئ المصرية نظير مساعدتهم له⁷.

ومع ذلك لم تكتمل هذه الاتفاقية بسبب خروج "محمد أبو الذهب" عن طاعة "علي بك"، لكن عندما فر "علي بك" إلى صديقه "ظاهر العمر" أرسل إليه كمية من الأسلحة والذخائر التي استخدمها في قتال "محمد أبو الذهب".

¹ عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية حتى نهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م، ص 592.

² لونتسكي، المرجع السابق، ص 39.

³ مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، د ط، دار الهدى، د ب، 1991م، ص 71.

⁴ لويس معلوف اليسوعي، تاريخ حوادث الشام ولبنان، د ط، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، د ب، 1912م، ص 88.

⁵ لونتسكي، المرجع السابق، ص 40.

⁶ عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 148.

⁷ الزايد، المرجع السابق، ص 35.

• التحالف مع البندقية¹:

تواصل "علي بك" مع الجمهورية البندقية لأغراض حربية² عن طريق شخص إيطالي من مدينة البندقية، كان مسؤولاً عن التجارة الخارجية والعلاقات الدولية، لذلك اعتمد عليه "علي بك" لدعم مشروعاته التوسعية في الشام ومساندته ضد الدولة العثمانية³.

ولهذا السبب أرسل إليه طلباً للمساعدة، مع عرض تقديم الدعم في مقابل تمكين البندقية من السيطرة على جزر الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، وقد قدرت عليه واعدة بتقديم المساعدة لكنها في النهاية لم تف بوعدها واعتذرت منه في النهاية⁴.

3/ المبحث الثالث: نهاية علي بك الكبير

سعى "علي بك" الكبير إلى الانفراد بالحكم في مصر والتحرر من سيطرة الدولة العثمانية، فخاض عدة معارك ووسع نفوذه، لكن سرعان ما تبدلت الأحوال وانقلب عليه أقرب رعاياه "أبو الذهب" لتبدأ بذلك نهاية حكمه، وفي هذا المبحث سوف نتناول خيانة أبي الذهب ونزاعه مع "علي بك" ووفاته وبداية سوف تكون بخيانة أبي الذهب ونزاعه مع العثمانيين:

أ/ المطلب الأول: خيانة أبي لهب ونزاعه مع علي بك

يبدو أن محمد أبو الذهب لم يلبث أن أصدر الأوامر لجنده بالانسحاب من دمشق وإخلاء الشام والعودة إلى مصر، فغادر الجيش المصري من أراضي الشام، وكان التراجع سريع لدرجة أن انقلبت إلى هزيمة بسبب ما قتل وفقد من الجند المتقهقرين حتى صارت أشلاء الموتى مبعثرة على الحدود المصرية⁵، فقد عبث الشيخ ظاهر وقادته أن يخلصوا من محمد بك على أي تفسير أو توضيح لهذا العمل، فرجع عثمان باشا إلى دمشق، وتعقب جيش ظاهر العمر حتى النهاية⁶.

¹ مدينة في إيطاليا، تقع على الجهة الشمالية الأدرتياتيكي، وبقد ساعدها موقعها على البحر الأدرتياتيكي أن تكون مركزاً تجارياً مهماً، لتصل بذلك خلال القرن (15م) إلى أوج قوتها وأصبحت تسيطر على التجارة الشرقي من حوض البحر المتوسط، إلا أنها عرفت تراجعاً كبير بعد تغيير الطريق التجاري إلى رأس الرجاء الصالح، أنظر: سهيلة أحمد سرير، المرجع السابق، ص 12.

² الجميل، المرجع السابق، ص 279.

³ رتيبة خطاوي بك، جورج خطاوي، محمد علي وأوروبا، تر: الفريديلور، ذ ط، دار المعارف المصرية، د ت، ص 30.

⁴ البقلي محمد قنديل، المختار من تاريخ الجبرتي، ط 2، دار الشعب، دب، 1993م، ص 92.

⁵ محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 27.

⁶ شكري، المرجع نفسه، ص 27.

ولم يكد " محمد أبو الذهب " لضم بلاد الشام حتى اتفق مع الباشا العثماني " عثمان باشا"، والعودة إلى مصر للاستئناف الحكم، ولما سمع "علي بك" تأكد من عدم وفاء مملوكه له، وأصر على معاقبته لأنه أصبح يرى فيه عدو وخصما خطير له¹.

والواقع أن الانسحاب، غير المتوقع للجيش المصري وعودته إلى مصر، سوف يعطيان الإشارة لتفجير صراعات الداخلية سوف تتمثل نتيجتها في هزيمة " علي بك " ².

في أوائل عام 1773م تلقى "علي بك" خطابات من بعض البكوات الموالين يدعونه إلى دخول مصر ويتعهدون بمساعدته ضد أبي الذهب وحذروه إبراهيم الصباغ، وزير الشيخ ظاهر العمر من أن يكون " أبو الذهب " هو الذي أوعز بالكتابة، لكنه ضحك عند سماع هذا التعليق وقال: " هذا ظن السوء العاقل الفطن، لكن أنا أخبر منك بأولادي وأهل بيتي ". وعند الصالحية التقى جيش "علي بك" بطلائع أبي الذهب لإطاحة به³.

وقد بلغ من ثقة "علي بك الكبير" أن جمع عساكره، وتوجه إلى مصر وخرجت عساكر أبو الذهب تحارب مع عساكر علي بك⁴، بجيش بلغ عدته ثمانية آلاف يقودها علي بك⁵. وبعد ذلك عاد "علي بك" إلى مصر في سنة 1773م لمحاربة " محمد بك أبي الذهب "، وانضم إلى جيوشه أربعمئة جندي روسي⁶ فقابلهم أبو الذهب عند الصالحية⁷ بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر "علي بك" وأربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم⁸.

وفي 26 أبريل 1773م التقى "علي بك" مع جيش المصري الذي يقوده أبو الذهب⁹، وبلغ الصراع بين الطرفين، وصمد "علي بك" لهجمات أبي الذهب وأدرك حينها أن تلك الخطابات

¹ المغلوث، المرجع السابق، ص 517.

² مانتران، المرجع السابق، ص 610.

³ عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 148.

⁴ مخايل الدمشقي، تاريخ الشام 1720م/1782م، دط، مطبعة التقديس بولس، بيروت، لبنان، 1930م، ص 99.

⁵ أحمد خيرى سعيد، الدسائس والدماء علي بك وحياته وعصره د ط، مطبعة الهلال، 1935م، ص 142.

⁶ محمد فريد بك محامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م، ص 339.

⁷ بلدة انشأها الملك نجم الدين أيوب سنة 1247م، بين مصر والشام لتكون منزله للعساكر عند ذهابهم إلى الشام وعند عودتهم، أنظر: الجبرتي، المصدر السابق، ص 45.

⁸ فريد بك محامي، المرجع السابق، ص 339.

⁹ فريد بك، المرجع نفسه، ص ص 339-340.

التي وصلته من زعماء المماليك وكبار الضباط، ما كانت إلا من قبل احتيال والغش والتمويه ووعودهم بالانضمام له، وكانت هذه خدعة جديدة للإيقاع به¹.

استمر الصراع بين الطرفين حتى قرر " محمد أبو الذهب " تكليف " مراد بك " بنقل الأموال كرشوة للمغاربة والمرتزة الذين كانوا في صف علي بك². لكن لهذه الخيانة تأثير كبير على هزيمة " علي بك "، حيث لم يكن بإمكان ثلاثة ألف جندي الصمود أمام نحو ثلاثين ألف.

وبالتالي انهزموا تحت وطأة الضغط ثابتاً في القتال إلى جانب علي بك. وانتهت المعركة الصالحية بهزيمة " علي بك الكبير " ووقوعه جريحاً من طرف " محمد أبو الذهب ".

أ/ المطلب الثاني: وفاة علي بك الكبير

لم يكد " علي بك الكبير " يصل إلى معسكر عدوه حتى انقلب أبو الذهب على يد ولي نعمته⁴ وقلده بقية المماليك ثم حملوه إلى منزله بالأزيكية وكرسوا أحد الأطباء لخدمته حتى فترة شفاؤه⁵.

لكن توفي بعد بضعة أيام اثر نكسة بالسم⁶، وكان ذلك في يوم 8 ماي 1773م الموافق ليلة الخامس عشر من شهر صفر 1187هـ. نتيجة تلك المؤامرة التي دبرها أبو الذهب في معركة الصالحية بالإضافة إلى أن " علي بك " تأثر بعد شهر بكثير من الخيبات وسار في قافلة إقليم العدو متأثراً بجراحه بعد موته.

¹ أحمد خيرى سعيد، المرجع السابق، ص ص 146-147.

² سعيد، المرجع نفسه، ص ص 147-148.

³ أنظر الملحق رقم: 6 ص 48.

⁴ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 199.

⁵ رفعت، المرجع نفسه، ص 199.

⁶ قضي علي بك مدة بعد إصابته، قبل ثلاثة أيام وقيل سبعة أو ثمانية، ثم أن بعض المؤرخين يشك في وفاته من جراحته وأن بعض الناس أخبروه أن علي بك مات بالسم وهذا حسب ما ذكره فولني، ص 113، والواضع أن المدة التي وقعت بين إصابته ووفاته لا تكفي لشفاء الجروح التي أصابته، فهو إما الحزن الذي أثر عليه تأثير شيناً، أما أن تكون مؤامرة من أبو الذهب لجأ فيها إلى السم للقضاء على متاعب المستقبل. انظر: رفعت، المرجع نفسه، ص 199.

ودفن بجوار أستاذه إبراهيم ذي الفقار على مقربة ضريح الإمام الشافعي بالفراقة الصغرى¹ قرب الإمام الشافعي ونقش على وجه الشاهد الأمامي لقبره " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ² وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"³، " إن لله وإن إليه راجعون "⁴ وكذا اسم علي مزدوجا.

¹ رفعت، المرجع نفسه، ص 199.

² سورة الرحمن، الآية 27.

³ سورة الرحمن، الآية 28.

⁴ سورة البقرة، الآية 156.

نستنتج مما سبق أن "علي بك الكبير" كان من أبرز القادة المحليين في مصر خلال القرن الثامن عشر، وقد شكل مشروعه السياسي والعسكري محاولة بارزة للانفصال عن السلطة العثمانية، وإعادة بناء حكم مستقل، فقد انطلق "علي بك الكبير" من صفوف المماليك ونجح في السيطرة على الحكم في مصر بعد أن تمكن من القضاء على خصومه. فسعى إلى الاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية، فأوقف إرسال الضرائب إلى اسطنبول وضرب النقود باسمه، وتحالف مع زعماء محليين وإقليميين مثل ظاهر العمر في الشام.

فقد توسعت سلطته لتشمل الحجاز مؤقتا، ووجه حملة عسكرية إلى الشام بقيادة نائبه أبو الذهب، مما أدى إلى انهيار مشروع علي بك، وهكذا إنتهت حركته بمقتله سنة 1773م، لكنها بقيت دليلا على بداية تآكل الهيبة العثمانية في مصر وبروز الطموحات المحلية نحو الاستقلال، فقد كانت حركة "علي بك الكبير" من أوائل المحاولات الجادة لفصل مصر عن الدولة العثمانية، ما مهد لاحقا للنفوذ الأوروبي ثم لحكم محمد علي باشا في القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث: حركة ظاهرة العمر في الشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

المبحث الأول: تعريف ظاهر العمر الزيداني

- **المطلب الأول:** تعريف ظاهر العمر.

- **المطلب الثاني:** وصوله إلى الحكم

المبحث الثاني: السياسة الداخلية والخارجية لظاهر العمر

- **المطلب الأول:** السياسة الداخلية.

- **المطلب الثاني:** السياسة الخارجية.

المبحث الثالث: نهاية ظاهر العمر الزيداني

- **المطلب الأول:** نزاع ظاهر العمر مع العثمانيين.

- **المطلب الثاني:** وفاة ظاهر العمر.

يعتبر ظاهر العمر الزيداني من الشخصيات السياسية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، حيث تمكن من تأسيس حكم شبه مستقل في شمال فلسطين وأجزاء من لبنان، متحدياً بذلك السلطات العثمانية المركزية. اعتمد في ذلك على المزيج من القوة العسكرية والسياسيات الاقتصادية الفعالة، وتميزت سياسته بالتركيز على الاستقلال المحلي.

فقد ساعدته هذه الإستراتيجيات على ترسيخ سلطته وإرساء شكل من الأشكال الإدارية الذاتية في وقت كانت فيه الدولة العثمانية تواجه تحديات داخلية وخارجية متعددة، ففي هذا الفصل سوف نتناول فيه تعريف شخصية ظاهر العمر الزيداني وسياساته الداخلية والخارجية وفي الأخير سوف نتطرق لوفاته.

1/ المبحث الأول: التعريف بظاهر العمر الزيداني

ظاهر العمر الزيداني هو أحد أبرز الزعماء المحليين في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، وقد برز بدوره في تأسيس حكم شبه مستقل في فلسطين. وسوف نقوم في هذا المبحث بالتعريف به وكيفية وصوله إلى الحكم.

أ/ المطلب الأول: تعريف شخصية ظاهر العمر الزيداني

ينتمي الشيخ ظاهر إلى أسرة بني زيدان من العرب القيسية، وكانوا يمكثون قرب بحيرة طبرية، واشتهر منهم عمر والد ظاهر الذي كان شيخاً على بلاد صفد¹.

وقد ولد الشيخ ظاهر حوالي سنة (1092هـ - 1681م)، وتأدب بالآداب العربية والإسلامية، وقد استطاع بشخصيته القوية، وكفاءته الإدارية أن يتقرب من والي صيدا الذي أعطاه التزام طبرية فحكمها منذ عام (1146هـ - 1733م)، ثم أخذ يوسع إزمه بضم البلاد التي حولها تدريجياً بموافقة الوالي العثماني، الذي لم يكن يرفض طلبات ظاهر المدعومة بالهدايا².

¹ عبد المنعم صبحي، المرجع السابق، ص 140.

² صبحي، المرجع نفسه، ص 140.

ولذلك أخذ ظاهر جميع البلاد التي حول طبرية، وفرح به أهل تلك البلاد لما استمر به من العدل والرحمة¹.

ب/ المطلب الثاني: وصوله إلى الحكم

وفي سنة (1157 هـ / 1744 م)، استطاع ظاهر العمر الاستيلاء على عكا، واتخذها قاعدة لحكمه، وشرع في تجديد بنائها وتحصين أسوارها ووطد نفوذه بها.

ونتيجة لصفات ظاهر الحسنة فقد ذاع صيته بين عرب فلسطين وأخذت وفود البلاد المختلفة تأتي إليه وتطلب منه ولايته عليهم فامتد سلطانه، حتى شمل أكثر أقاليم فلسطين، وجزءاً من أراضي لبنان، فكان في حوزته صيدا وعكا وحيفا ونابلس وأريد وصفد، والرملة، كما كان في يده أكثر القلاع والأماكن الحصينة في شمال فلسطين².

وكانت الدولة العثمانية آنذاك مشغولة بنزاع مرير مع روسيا فتركت ظاهر عمر حتى تنتهي الحرب وعلم ظاهر أن الدولة العثمانية تكن له العداء وتسعى للتخلص منه بحثاً عن حليف قوي يناصره ويشد من أزره فاتجه ببصره نحو مصر حيث كان علي بك الكبير يسيطر على الأمور هناك فأرسل إليه يطلب النجدة المصرية للوقوف أمام محاولات عثمان باشا العظم والي دمشق للقضاء على ظاهر وإمراته فأرسل إليه جيشاً بقيادة مملوكية محمد بك أبو الذهب وإستطاع هذا الجيش مساندة جيش عمر وألحق الهزيمة بعثمان باشا وتطرد من دمشق ولما تأمر محمد بك أبو ذهب على سيده علي بك الكبير وعاد إلى مصر لجأ ظاهر إلى الأسطول الروسي في البحر المتوسط كي يساعده ضد العثمانيين ونجح بمساعدة هذا الأسطول في الاستلاء على دمشق وطرد حاكمها من قبل العثمانيين³.

لجأت الدولة العثمانية إلى سياسة الخداع واتصلت بمحمد بك الذي ثار على سيده علي بك وقضى على حكمه في مصر ولوحت له بولاية الشام، بالإضافة إلى حكم مصر فاستجاب محمد بك أبو ذهب إلى هذه الاغراءات وأسرع يحشد قوته متجه نحو الشام للقضاء على ظاهر عمر وتمكن من دخول عكا بعد أن فر منها ولم يمهل محمد بك كي يجني ثمار انتصاره إذ توفي بعد دخوله عكا مباشرة سنة 1775 م، فاضطرت الدولة العثمانية إلى إرسال حملة بحرية بقيادة

¹ صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 140.

² صبحي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 141.

³ صبحي، المرجع نفسه، ص 141.

القبطان حسن باشا الجزائري لمهاجمة ظاهر من البحر وخسر عكا ثم كاتب والي دمشق محمد باشا العظم وباشا الجزائر محافظاً على السواحل الشامية استعداداً لتطويق ظاهر عمر من جهة البر وبعث جواسيس الذين انتشروا بين عسكر ظاهر ويرشونهم بالأموال ويقنعونهم بعدم شرعية مقاتلة السلطان، ومن ناحية أخرى أرسل إلى ظاهر يطالبه بدفع الجزية المتأخرة عليه منذ 7 سنوات فاستشار ظاهر خزان ابراهيم الضباع وكان يهودياً فكانت أموال ظاهر كلها تحت يده فأشار عليه فامتناع عن منع دفع الجزية فأمر القائد الأسطول لضرب عكا وظلت مراكبه تضربها منذ 4 أيام وتخلّى جند ظاهر عنه فأراد الرحيل عن عكا لكن أحد جنده تمكن من قتله أثناء فراره وبهذا انتهى دور ظاهر عمر بمحاولة استقلال بمنطقة نفوذه في الشام¹.

2/ المبحث الثاني: السياسة الداخلية والخارجية لظاهر العمر خلال قرن (18م)

شهدت سياسة ظاهر العمر الزيداني خلال القرن الثامن عشر سياسات الداخلية والخارجية، وكانت من أبرزها توسعات ظاهر العمر الذي استطاع بذكائه السياسي وقوته العسكرية أن يفرض نفوذه على مناطق واسعة، متحديا السلطة العثمانية في المنطقة، وبداية المطلب سوف نتناول التنظيم الإداري وتكوين الجيش وأهم السياسات التي قام بها وبعدها سوف ندرس أهم التوسعات المحلية والتحلفات التي قام بها مع "علي بك" وروسيا.

أ/ المطلب الأول: السياسة الداخلية لظاهر العمر

تميزت شخصية ظاهر العمر بقدرته الإدارية واهتمامه بتنظيم الإدارة والتنظيم العسكري، فقد عرفت فترة حكمه العديد من الإجراءات التي مست جوانب عدة ومن بينها:

1/ سياسة " ظاهر العمر الزيداني:

أولاً: التنظيم الإداري وتكوين الجيش

ولتثبيت أركان حكمه كون جيشاً قوياً، قسمه إلى قسمين قسم المرتزقة بقيادة أحمد دنكلزي المغربي، وكان عدد هذا الجيش ما يقارب آلاف جندي، أما القسم الثاني فكان يجمعه من شتى

¹ صبحي، المرجع السابق، ص ص 141-142.

أنحاء البلاد، ومن حلفائه في المدن والقرى المجاورة، وكان عددهم يصل إلى ما بين 60-70 ألف جندي وأكثرهم من الاحتياط، ليس جيشاً نظامياً ثابتاً¹ فقد كانت أحلاف عسكرية لظاهر العمر.

لم يكتف بقوته العسكرية، فقد دعمها بأحلاف مع بعض الولاة من جيرانه كالشهابيين²، وعلي بك الكبير في مصر، وذلك لأنه كان يتوقع ضربة الدولة العثمانية لأنها لا ترضي بوجود حاكم محلي قد يستقل عنها عندما تسمح له الظروف³.

كما إهتم ظاهر العمر بتنظيم الإدارة معين مجلساً خاصاً لاستشارتهم، في أمور عديدة، وكان يرأس هذا المجلس مفتى عكا عبد الحليم الشويكي، وكان هذا المجلس يضم قائد الجيش، ووزير المالية وغيرهم من مختلف الفئات الأواسط⁴.

ثانياً: سياسة المسالمة والتهديد

حين إستشعر " ظاهر العمر " بزيادة قوته طلب من والي صيدا حمايتها من العربان وبسبب هذا قبل والي صيدا طلبه⁵. إضافة إلى الهدايا التي كان يمنحها ظاهر العمر للوالي⁶، ويبدو أن الظاهر كان يطمح لضم طبرية بسبب موقعها الهام والاستراتيجي الواقع على حدود صيدا⁷، فاستخدم الظاهر أسلوب اللطف والمسالمة في بعض الأحيان، بينما أحيانا أخرى استعمل أسلوب التهديد.

إضافة إلى ذلك سعى ظاهر العمر لإقامة علاقات جيدة مع ولاية دمشق " كاسعد باشا "، وكسب تأييد بعض رجال البلاط، وقد ساعدته الظروف الناتجة عن الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في تعزيز نفوذه وتثبيت حكمه، وبعد ذلك انطلق لتلبية نداءات واستغاثة أهالي قلعة

¹ سواعد، المرجع السابق، ص 69.

² ينتسبون إلى أمير مالك الملقب بشهاب ابن الأمير حارث ابن هشام المخزومي. أنظر: نادية عمروش، حركات التمرد في بلاد الشام من أوائل 17م إلى ثلاثينات القرن 19م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر -2، 2015م، ص 35.

³ سواعد، المرجع السابق، ص 69.

⁴ سواعد، المرجع نفسه، ص 69.

⁵ نعمان قساطلي، الروضة الغناء في الفيحاء، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1879م، ص 311.

⁶ ميخائيل العكاوي، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد، ط1، شركة توابغ الفكر، القاهرة، مصر، 2010م، ص 33.

⁷ العكاوي، مصدر السابق، ص 33.

جدين¹ من خطر العربان² وضمها إلى مشيخته. كما انضم إلى صفوفه المغاربة وكان من بينهم " الدنكلي المغربي"³ الذي صار يركب مع الظاهر اينما ذهب. كما التفت الشيخ إلى المتأولة⁴ الذين كانوا من قوم الشيعة، ويقطنون البلاد بشارة وكتب إلى كبيرهم " ناصف النصار " من بيت علي الصغير يطلب منه أن يتنازل له عنها، فارسل له ناصف الجواب بالرفض، وقيل له " لا تظن أننا نظير سوانا فوالله أن عندنا مقابل سيفك سيوفا أحد منه وبإزاء كيدك مكاييد كثيرة"، ولما أنجر عن الأمر الذي صدر في دخول الطرفين في حرب لكن في آخر المطاف اتفق الطرفان وتوعداً بتقديم المساعدات لبعضهم البعض⁵. وهكذا قوى مواقع الشيخ الظاهر عمر بتثبيت حكمه في بلاد وهذا سيجعله يتقدم أكثر فأكثر ويوسع نطاق نفوذه في كامل البلاد⁶.

2/ التوسعات المحلية لظاهر العمر:

أولاً: ضم طبرية⁷، نابلس⁸، وعكا⁹.

في بداية الثلاثينات من القرن الثامن عشر، بدأ ظاهر العمر في تجهيز قوته لتوسيع نفوذه إلى ما هو أبعد من منطقة طبريا، بدأ هذا التوسع شمالاً حتى استولى على صفد ومناطق

¹ قرية فلسطينية تقع شمال غربي عكا، أنظر: صباغ عبود، الروض الزاهر في تاريخ الظاهر، تح: عبد الكريم محتفظة، عصام مصطفى هزايمة، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999م، ص 111.

² عاشت هذه القبائل في العريش وفي منطقة إسمها قلاة النحل الواقعة على الطري بين مصر وفلسطين وانتشروا فيما بعد في القدس، أنظر: حسين أوزمير، فلسطين في العهد العثمانيين وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، مر: عبد الله، محمد بسطويسي، ط1، دار النيل للنشر والتوزيع، 2013م، ص ص 53-54.

³ هو أحمد باشا الدنكلي مغربي الأصل من تاهرت، حارب ضد الظاهر إلى جانب أحمد حسين عند دخوله جدين، ثم صار من اتباعه الذين دبوا له مكيدة لتصفيته، أنظر: تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1914) م، ط، ددن، فلسطين، 2015م، ص 211.

⁴ والمتوال تعني الشخص المعترف بولاية على أبنائه وأحفاده، حاتم حسين بخيت، قوى الصراع السياسي في لبنان، مذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، دب، دت، ص ص 12-13.

⁵ العكاوي، المصدر السابق، ص 37.

⁶ العكاوي، المصدر نفسه، ص 37.

⁷ مدينة بقرب دمشق، بينهما ثلاث أيام، مطلة على بحيرة معروفة بحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، وهي مستطيلة على البحر نحو فرسخ بناها ملك من ملوك الروم اسمه طباري، بها عيون جارية حارة بنيت عليها حمامات لا تحتاج إلى وقود وهي ثمانية حمامات، وحاليا تابعة لفلسطين، أنظر: زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، د ط، دار الصادر، بيروت، لبنان، دت، ص ص 217-219.

⁸ تقع مدينة نابلس على خط العرض 22-12° شمالاً، وعلى خط الطول 35-45° شرقاً، وفي موقع متوسط ضمن إقليم المرتفعات الجبلية الفلسطينية، والذي جعل منها حلقة وصل للمدن الفلسطينية، يحدها شمالاً جبال عيبال وقرية عصيره الشمالية، ومن الجنوب جبل جرزيم وقرية كفر قليل، ومن الغرب قرية زواتا، ومن الشرق يحدها كل من سهل بلاطة وعسكر ووادي الباذان، وقرى روجيب وكفر ودير الحطب وجنوباً زواتا، ولقد نشأت مدينة القديمة في الوادي الذي يفصل بين جبلي عيبال شمالاً وجرزيم جنوباً، أنظر: مسلم حلو، قصة مدينة نابلس، د ط، ددن، دت، ص ص 9-10.

⁹ مدينة على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، من أحسن بلاد الساحل في أيامنا وأمرها بها عين البقر، وهي بقرب عكا يزورها المسلمون واليهود والنصارى، أنظر: زكريا القزويني، المرجع السابق، ص ص 223-224.

المجاورة، مما أدى إلى حدوث صدامات مع والي دمشق¹، وقد تصاعدت الأمور عندما اعتدى "ظاهر العمر" على زعماء منطقة نابلس التي تتبع لوالي الشام².

فأستجد أهل نابلس "بسليمان باشا" لمساعدة ضد هذا الإعتداء والهجوم، فاستغل "سليمان باشا" الموقف خاصة بعد استغاثة "محمد باشا" بشأن "ظاهر العمر" الذي تمكن من السيطرة على معظم المناطق في ولايته، مما أدى إلى انقطاع العوائد المالية التي كانت تصل إليه من ولاته³، والتي لم يعد يتلقى إليه سوى المال الميري السلطاني⁴، المقرر والمخصص عليها من السلطنة، ولم يكن لديه القدرة على مواجهته. ولما فعل ظاهر العمر ما تقدم عمل طوقان ومشايخ البلاد محضرا كتبوا عرضا إلى سليمان باشا بما عمله ظاهر العمر من الاعتداء عليهم، واستغاثوا به وترجوه ان ينصفهم منه فأتاهم جواب الباشا أن يعملوا صلح معه، وطاولوه في ذلك إلى أن يعرض للدولة أمره، وعندما علم أهل نابلس قد أرسلوا يستغيثون بنسييه "باشا الشام"، كتب هو له أيضا يستعين به علي ظاهر وطلب المساعدة، فأتاوه الرد أن يطاوله، وينتظر ان يصل إليه جواب من الدولة العثمانية⁵.

غادر "سليمان باشا"⁶ دمشق في عام 1742 م متوجها إلى محاربة ظاهر العمر، حيث قاد جيشا كبيراً رافقه عسكريون من إسطنبول، بالإضافة إلى دعم الدروز⁷، وعرب بني صخر وبني صقر⁸، "لسليمان باشا" الذين لم يكونا على وفاق مع "ظاهر العمر".

¹ سواعد، البدو في فلسطين الحقة العثمانية، المرجع السابق، ص 66.

² عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516م-1916م، ط1، ددن، سوريا، دمشق، 1974م، ص 245.

³ رافق، المرجع نفسه، ص 245.

⁴ هي مختصر للأرض الأميرية أو السلطانية، وهي المال المقروض على الأرزاق لحساب خزينة الدولة العثمانية، أنظر: ان، بولياك، الإقطاعية في مصر وسوريا ولبنان، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1948م، ص 134.

⁵ العكاوي، المصدر السابق، ص ص 45، 46.

⁶ هو من أسرة قديمة، شملت مناصب مرموقة في البلاد، بما في ذلك مناصب في الوزارة في دمشق وطرابلس، تولى دمشق مرتين، الأولى في عام 1734م، والثانية عام 1741م، واستمر في منصبه حتى وفاته حتى عام 1743م، انظر: الصباغ، المصدر السابق، ص 31.

⁷ يعتبر الدروز فرعا من الإسماعيلية، وقد أطلقوا على أنفسهم إسم "الموحدون"، لكنهم عرفوا لاحقا بإسم الدروز، نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي، الذي يعود أصله إلى الفر، يتركز الدروز في لبنان خاصة في منطقة الشوق وسفوح جبل حرمون، أنظر: بخيت، المرجع السابق، ص 13.

⁸ من أكبر وأقوى القبائل البدوية في منطقة الجليل، وهم من أعقاب الصحابي المقداد بن الأسود. أنظر: الصباغ، المصدر السابق، ص 31.

واستمر الحصار على طبرية لمدة ثلاثة أشهر وكان هذا الحصار قاسياً على سكان المدينة طبرية، حاول فيها ظاهر العمر مقاومة الحصار حيث حصل على إمدادات من أخيه واستنجد بأحد زعماء الأوجاقات¹ في مصر المدعو "عمر بيك بن علي قطامش" للتوسط في الأمر. فقام سليمان باشا بدراسة وضع "ظاهر العمر".

ومع اشتداد الحصار طلب سكان طبرية، الأمان والسلام، فدخل نائب "سليمان باشا" مدينة طبرية وعفا عنهم مقابل دفع 200 كيس من المال إلى والي دمشق، ومع ذلك إضطّر "سليمان باشا"، للانسحاب إلى مدينة دمشق بسبب اقتراب موعد خروج قافلة الحجاج².

لكن خلال هذا الحصار تمكن "سليمان باشا" من أسر شقيق "ظاهر العمر" وإعدامه في دمشق وتنفس ظاهر حين عزل "سليمان باشا" عن ولاية الشام³. وقد استغل الشيخ "ظاهر العمر" فرصة انسحاب "سليمان باشا" وبدأ في تقوية وتعزيز قوته العسكرية، وواصل ظاهر العمر في توسيع نفوذه ليشمل الناصرة وأجزاء صفد⁴.

وفي جويلية عام 1743م حاول سليمان باشا قيادة حملة جديدة ضد "ظاهر العمر"، لكن صدر فرمان من الباب العالي بعزله. رغم ذلك تحرك "سليمان باشا" بقواته نحو طبرية ثم إلى ديرحنا، حيث لقي حتفه على أسوارها، وقيل أن "ظاهر العمر" قدم رشاًوى لبعض أتباع الباشا، مما أدى إلى مقتله، بالإضافة إلى قتل عمه، وأخاه اللذان كانا ينافسانه على السلطة⁵.

وبعد وفاة "سليمان باشا" تم تعيين ابن أخيه "أسعد باشا" خلف له لكن "أسعد باشا" ركز على تعزيز سلطته، ولم يستأنف سياسة العنف مع "ظاهر العمر" بل اتخذ موقعا مع التعايش السلمي مع "الظاهر" نظراً لقوة هذا الأخير وفشل عمه في مواجهته مرة أخرى⁶.

بعد أن استقر "ظاهر العمر" من جهة المتأولة وتعرف على الأوضاع مع الولاة العثمانيين توجه نظره نحو عكا لما أدرك أهميتها الإستراتيجية كموقع ساحلي يتيح له التواصل مع العالم

¹ هي كلمة تركية لها عدة معاني متعددة، وأطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد، ثم أطلق على أرباب الحرف، وأيضا على صنف من السباهية، أنظر: سهيل صابات، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق بركات، دط، مكتبة فهد الوطنية السعودية، 2000م، ص 42.

² الحلاق البديري، حوادث دمشق اليومية، دط، ددن، دب، دت، ص 8.

³ رافق، المرجع السابق، ص 271.

⁴ تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية، (1280م - 1924م)، المرجع السابق، ص 183.

⁵ أسعد منصور، تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، دط، مطبعة الهلال، مصر، 1924م، ص 50.

⁶ رافق، المرجع السابق، ص 274.

الخارجي¹. فكتب إلى والي صيدا يطلب منه الالتزام بها بحجة حمايتها من القرصنة لكن الباشا رفض هذا الطلب. فلجأ " ظاهر العمر " إلى استخدام القوة والعنف والمواجهة فأرسل حملة مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابن عمه².

ونجح في دخول المدينة عام 1774م، بعد أن انتقل " ظاهر العمر " إلى عكا وجعلها عاصمة له، حيث قام بترميمها وتحصينها من خلال بناء الأبراج حولها. واتخذ من أقوى حصونها مقر له³ (برج الذئب)، وشجع على بناءه المزيد من المنشآت فأنشأ قصرًا وجامعًا، ويُنسب إليه أيضا بناء السوق الأبيض وخان الشونة⁴.

بالإضافة إلى ذلك أحاط المدينة بسور قوي تم بناؤه في عام 1750 م وخصص له بوابتين فقط، وزودها بالمدافع لحماية الخليج من القراصنة من القرصنة وصد هجمات البدو الذين يهاجمون أطراف المدينة سابقًا⁵، وهذا الأمر ساهم في تعزيز الأمن في المدينة وضواحيها، مما أدى إلى شعور السكان المنطقة بالطمأنينة⁶.

ثانياً: ضم حيفا⁷ وبلاد صفد⁸:

في ثلاثينيات القرن الثامن عشر، بدأ ظاهر العمر في تعزيز قوته بهدف توسيع نفوذه إلى ما وراء منطقة طبريا، أين قام بالسيطرة على حيفا التي كانت قرية صغيرة في ذلك الوقت⁹، فيشيد

¹ محمد عبد الله عورة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، د ط، مطبعة الأهلية، عمان، الأردن، 1989م، ص 42.

² العكاوي، المصدر السابق، ص 38.

³ محمد عبد الله عورة، المرجع السابق، ص 43.

⁴ سواعد، المرجع السابق، ص 66.

⁵ سواعد، المرجع نفسه، ص 66.

⁶ سواعد، المرجع نفسه، ص 66.

⁷ تقع في الطرف الشمالي نت السهل الساحلي الفلسطيني وفي الجزء الجنوبي من خليج عكا، أنظر: مؤلف مجهول، قصة مدينة حيفا، تح: حسين العودات، د ط، ددن، دب، دت، ص 8.

⁸ مدينة تقع جنوب صيدا بين نهر الزهراني، ورأس جبل الكرمل في حيفا، اشتملت على الجليل الأعلى والجليل الأدنى، وفي سنة 1920م، وأصبح الجليل الأعلى بشكل قسما من لبنان أما الجليل الأدنى فيشكل جزء من فلسطين، أنظر: عبد الرحمن أبو الحسن، لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني، دط، دار النهار، بيروت، لبنان، 2005م، ص 190.

⁹ سواعد، المرجع السابق، ص 66.

بمقربة منها بلدة جديدة أطلق عليها إسم " العمارة الجديدة " عرفت لاحقا بحيفا الجديدة، ثم أقام برجا بحجة حمايتها من القراصنة الكفار¹، بعد أن تولى إدارتها في عام 1735 م.

وفي السنة التالية استحوذ على إدارة يافا والرملة ونابلس²، بعد ذلك تمكن " ظاهر العمر " من السيطرة على صفد³، التي كانت آنذاك قلعة حصينة، ولتجنب الصراع المسلح، لجأ " ظاهر العمر " إلى أسلوب الاحتيايل ليتنازل عليها ولتجنب الدخول معه في حرب اتبع أسلوب المصاهرة واقتران بخطب ابنه " صالح المتولي "، مما أدى إلى تنازل له عن هذه المنطقة في عام 1739 م⁴.

3/ الحملة الثانية على بلاد الشام:

أولاً: دوافع الحملة على بلاد الشام:

كان " الشيخ ظاهر العمر " يعيش نوع من التمرد والصراع داخل منزله بسبب أبنائه الذين كانوا يتعاركون فيما بينهم ويتمردون على أبيهم⁵ وينتظرون خبر موته بفارغ الصبر ليقتسموا سلطته وميراثه⁶ بالإضافة إلى علاقة عثمان باشا والي دمشق وظاهر العمر السيئة بسبب محاولة الوالي اللجوء إلى القوة والعنف لاسترجاع مقاطعات ولايته التي قام بالاستلاء عليها ظاهر العمر في فترة حكمه⁷.

غير أن تغير الوضع وفقدان ظاهر العمر لمكانته وقوته في البلاد بعد استبعاده وجعله يضعف، إلا أن عمل والي دمشق " عثمان الصادق " باستصدار مراسيم من الدولة لتعيين والديه على ولاية صيدا وطرابلس بمعاونة والي حلب له لاتخاذ هذه الإجراءات⁸، ليتمكن من إحكام

¹ الصباغ، المصدر السابق، ص 41.

² الجميل يوسف، المرجع السابق، ص 268.

³ الشهباني، المصدر السابق، ص 56.

⁴ الصباغ، المرجع السابق، ص 36.

⁵ عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، ط1، ددن، سوريا، 1986م، ص 352.

⁶ قسطنطين بازيللي، سورسة وفلسطين تحت الحكم العثماني، تر: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، روسيا، 1986م، ص 53.

³ رافق، المرجع السابق، ص 294.

² قسطنطين بازيللي، سورسة وفلسطين تحت الحكم العثماني، تر: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، روسيا، 1986م، ص 53.

⁷ رافق، المرجع السابق، ص 294.

⁸ أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق، ص 79.

الطوق على " ظاهر العمر " ¹، الأمر الذي أقلق " الشيخ ظاهر " خاصة عندما علم أن عثمان باشا قد كلف بقتله، فسارع هذا الأخير (ظاهر) إلى جمع أولاده لمصالحاتهم ثم شن عليه بخمسئة فارس ² هجوما مفاجئا على معسكر " عثمان باشا " قرب نابلس، وتمكن من الهروب بصعوبة وكانت تلك بداية أعمال العداوة بين الشيخ " ظاهر العمر " والدولة العثمانية ³، وكان لا بد له من إيجاد حليف له فظهر علي بك كأحسن خيار له ⁴.

ثانيا: سير الحملة ونتائجها على بلاد الشام:

بعد أن هزم " محمد أبو الذهب " قوات " علي بيك " في أفريل 1772 م، أشار أن ظاهر العمر لجأ إلى والده ⁵، كتب له رسالة أخبره فيها بقدومه إليه فقام والده، وحضر لاستقباله والسلام عليه في حين نصت الرسالة على متابعة محاربة العثمانيين ⁶. حين أعلنت روسيا تأييدها المطلق وتقديم يد العون لها، واستطاعت جيوش " علي بك الكبير " من التقدم شمالا متحالفة مع جيش الشيخ " ظاهر العمر " مستغلين فرصة الحرب الدائرة بين الدولة العثمانية وروسيا سنة 1768م-1774م ⁷ متحالفين مع روسيا التي أرسلت أسطولها أمام حيفا لضرب بيروت بحرًا ⁸، وتمكنوا من الاستيلاء عليهم لكنهم في الأخير غادروها بعد إرسال حملة عسكرية قوية، جمعت بين " عثمان باشا " ⁹ و "وسف الشهباني" إضافة إلى قائد جديد " أحمد باشا الجزائر " ¹⁰، فضلا عن نجاح " الظاهر عمر " في بسط نفوذه على يافا بعد حصار دام ثمانية أشهر في شتاء.

¹ رافق، العرب والعثمانيون، المرجع السابق، ص 294.

² بازيلى، المصدر السابق، ص 53.

³ بازيلى، المصدر نفسه، ص 53.

⁴ يوسف جميل نعيمة، مجتمع مدينة دمشق، ص 298.

⁵ رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 171.

⁶ العكاوي ميخائيل، المصدر السابق، ص 95.

⁷ سليم عرفات البيض، غزة وقطاعها، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1987 م، ص 317.

⁸ سليم، المرجع نفسه، ص 317.

⁹ هو عثمان باشا بن عبد الله الكرجي الملقب بالصادق، كان كتخذ الأسعد باشا واليا دمشق زهاء إحدى عشر سنة 1760 م، إلى 1771 م، أنظر: الصباغ، المصدر السابق، ص 42.

¹⁰ ولد سنة 1723 م في اليوسنة ومن هنا لحق إسمه لقب البوشناق في أسرة مسيحية، ولما بلغ السادسة عشر من عمره هرب من اليوسنة إلى القسطنطينية، ويذكر أحد المؤرخين أن سبب هربه كان محاولته الاعتداء على أخيه، ويذكر آخر أن السبب هو اعتصابه لخطبته، والثالث قال أن هروبه ربما كان بسبب جريمة القتل، وإعتنق الإسلام وإنتهى به الأمر العمل في سلك البحرية، قدم إلى مصر سنة 1757 م، وعمل لدى علي بك وتوفي سنة 1804 م، أنظر، أحمد حيدر الشهباني، أحمد باشا الجزائر مع نابليون بونابرت، تح، عبد العزيز جمال الدين، دط، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2008 م، ص ص 11-18.

وهكذا دانت له جميع المدن على الساحل الفلسطيني مستقلا بالبلاد ومعتمد على اقتصادها وبوجه خاص القطن الذي زراعته في مساحات جد واسعة في مدينتي الجليل واللد والرملة، فأخذ يصدره إلى فرنسا مقابل استيراد الأسلحة والذخائر¹، إلا أن هذه الدويلة واجهت الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية بدأت بتحريض السلطان العثماني لقائده " محمد بيك أبو الذهب" على قتل سيده سنة 1773 م فقد على إثرها ظاهر العمر خليفه الوحيد².

ب/ المطلب الثاني: السياسة الخارجية لظاهر العمر

تميزت السياسة الخارجية لظاهر العمر في القرن الثامن عشر، بتعزيز سلطته في ظل التراجع للنفوذ العثماني، فقد تجلي ذلك من خلال عقده لعدة تحالفات مدروسة، وكان أبرزها تحالفه مع علي بك الكبير وتحالفه مع روسيا، الذي عكس توجهها نحو الاستفادة من الصراعات الدولية وتكشف هذه التحالفات عن وعي ظاهر العمر الذي سعي في تحقيق الاستقلال الفعلي. وبداية هذا المطلب سوف يكون بعلاقة تحالف ظاهر العمر مع علي بك.

1- علاقة تحالف ظاهر العمر مع علي بك:

من الواضح أن " ظاهر العمر " استغل انشغال الدولة العثمانية بحروبها ضد روسيا لتعزيز وتقوية نفوذه³، ورأى الروس في ثورة " ظاهر العمر " و "علي بك" عاملا مساعدا لأغراضهم فشجعوا تلك الشركة⁴، التي تجمعهم في مواجهة والي دمشق حينها سعى علي بك بالاتصال بظاهر العمر لوضع خطة⁵ تستهدف توحيد القوى المحلية في الشام ومصر، لمواجهة العثمانيين مع الحفاظ على استقلال كل قوة بهدف التخلص من السيطرة العثمانية على المدن الممتدة من غزة إلى طرابلس⁶. كما تهدف إلى توسيع سلطة علي بك لتشمل غزة بينما يخضع المتبقي لسلطة ظاهر، حيث يعمل كل منهما على التوسع في عمق البلاد بمجهوداتهم الشخصية.

¹ عرفات البيض، المرجع السابق، ص 317.

² سليم، المرجع نفسه، ص 317.

³ رفعت، المرجع السابق، ص 171.

⁴ رفعت، المرجع نفسه، ص 171.

⁵ ميخائيل الدمشقي، المصدر السابق، ص 82.

⁶ ميخائيل الدمشقي، المصدر نفسه، ص 82.

2- تحالف ظاهر العمر مع روسيا:

قامت روسيا بالاتصال بكل من " علي بك الكبير " في مصر و " ظاهر العمر " في فلسطين أثناء حربها مع الدولة العثمانية، وقد دفعتهما أطماعهما الشخصية لسرعة الاستجابة لهذه الاتصالات، خاصة بعد تدمير الاسطول الروسي سنة 1770 م¹ وعقدت روسيا مع علي بك وظاهر العمر بعض الاتفاقيات السرية فيها ضمنت روسيا بمقتضاها اماكن لإمداد أسطولهم البحري في البحر المتوسط لقاء ما وعدت به من مساعدات مادية وعسكرية لعلي بك وخليفة ظاهر العمر، وقد وعد علي بك وخليفه بإعطاء الروس بعض المدن العربية نظير مساعدتها على تحقيق روسيا لأطماعها الشخصية.

كما أننا يجب أن نشير إلى الحد الكبير الذي وصل إليه " علي بك الكبير " من قوة وبسط نفوذ²، لما وصلت أخبار انتصاراته إلى مصر استقبلوها بالبهجة والسرور³، ولا بد أن نشير إلى قناصل فرنسا وفي وسط روسيا نقلوا محور نشاطاتهم السياسية إلى القاهرة⁴، أما من الجهة العثمانية فبعد الحرب قبض " عثمان باشا " على أغا الإنكشارية وفي أثنائها أصدر قرار بعزل " عثمان باشا " من الحكم نهائياً⁵.

3/ المبحث الثالث: نهاية ظاهر العمر الزيداني

شهدت نهاية ظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر تصاعدا في التوتر بينه وبين الدولة العثمانية، نتيجة إتساع نفوذه وإستقلاله شبه الكامل في شمال فلسطين، ورغم نجاحه في توطيد سلطته وبناء علاقات خارجية، فقد اعتبر تهديداً لحكم الدولة، مما أدى إلى القيام بحملة عسكرية ضده ومقتله عام 1775 م وفي ما يلي نتناول نزاع ظاهر مع العثمانيين ثم تليها نهايته في الزعامات المحلية.

¹ زكريا بيومي، المرجع السابق، ص 118.

² رفعت، علي بك الكبير، المرجع السابق، ص 169.

³ زقلمة، ثورة علي بك الكبير، المرجع السابق، ص 68.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 169.

⁵ الدمشقي، المصدر السابق، ص 96.

أ/ المطلب الأول: نزاع ظاهر العمر مع العثمانيين

كان عام 1774 م هو بداية لحكم " ظاهر العمر " في شمال فلسطين¹، فضلا أن ظاهر تقدم في السن وأصبح شيخاً كبيراً ما يقارب التسعين سنة، أضعف قوته مما دفع بالسلطة العثمانية ممثلة بالسلطان عبد الحميد الأول²، الذي وجد أن مصر وفلسطين قد أصبحتا بيدي حاكمين اشتركا سابقا ضدها³، فرات خير وسيلة للقضاء عليهم هي أتباع سياسة التفرقة وإيقاع الخلاف والشقاق بين الأتباع والطوائف.

فوجدت في " محمد أبي الذهب " أداة لذلك فأثارت جدل بينه وبين " ظاهر العمر " وأغرته بتتصيه واليا على الشام ومصر، وذلك بعد تخلصت من " ظاهر عمر " ⁴، فاستغلت بذلك الدولة العثمانية طموح محمد أبي الذهب لمصالحه الخاصة⁵.

وقد قَبِلَ " محمد أبو الذهب " بعروض الدولة العثمانية، وصدق وعودها، فأخذ يستعد لإرسال حملة كبيرة نحو الشام ليقضي بها على الشيخ " ظاهر " وأتباعه ويمحو كل أثر الدولة العثمانية. وفي سنة 1775 م⁶ قام محمد أبو الذهب ليشن حملة عسكرية في أراضي فلسطين⁷، بالإضافة إلى أن لروسيا هدف من هذه الاتفاقيات السابقة ولم تقتصر على الهدف المحدود وإنما أرادت أن يحرّموا الدولة العثمانية من مساعدات ولاتها في الحرب وبخاصة والي مصر⁸، وقد التقت أهداف الروس مع أطماع " علي بك " و " ظاهر العمر " فجهزوا جيشا بقيادة محمد بك أبو الذهب وبمساعدة الأسطول العثماني الروسي من البحر للسيطرة على الشام، وفي الأخير تمكن هذا الجيش من إحتلال الشام وطرد حاكمها العثماني⁹.

¹ سواعد، المرجع السابق، ص 69.

² سواعد، المرجع نفسه، ص 70.

³ بازيلي، المصدر السابق، ص 64.

⁴ ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص 41.

⁵ ضياء الرئيس، المرجع نفسه، ص 270.

⁶ ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص 42.

⁷ محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج3، د ط، دب، ددن، ص 184.

⁸ زكريا بيومي، المرجع السابق، ص 118.

⁹ زكريا، المرجع نفسه، ص ص 118 – 119.

ومما سبق جاءت هذه المعاهدات نتيجة لتقاطع مصالح علي بك وظاهر العمر، في مقاومة النفوذ العثماني والسعي نحو الاستقلال، ومع أن هذه التحالفات لم يكتب لها الاستمرارية طويلا بسبب التغيرات، فقد عكست نزاعات استقلالية داخل الولايات في ظل ضعف الدولة العثمانية.

فقد استغل محمد أبو الذهب في حملته أبناء " الظاهر العمر " لتحقيق مصلحته، وخاصة " عثمان " الذي خان والده وبدأ يرسله سرًا، محرصًا إياه على الإسراع في القدوم وإطلاعه على عيوب والده¹، فقد حاصر " أبو الذهب " مدينة يافا ونجح وثم انتقل إلى مدينة عكا أين كان يمكث الظاهر العمر الزيداني، لكن ظاهر العمر فر مع جميع أولاده قبل وصول العدو² ومثل أمامه شيوخ المتأخرة بالهدايا والولاء، وذلك بعد جاءه مرسوم بتعيينه واليا على مصر والشام لكنه توفي في عام 1775 م، وبذلك إنتهت حملته فاستولى عليها المماليك ونهبوها فأخذوا جثة سيدهم واندفعوا على أثرها راجعين إلى بلادهم، حينها عاد ظاهر العمر مسرعا إلى عكا³، وذلك خوفا من تسليم المدينة لابنه من طرف المرتزقة⁴.

وفي النهاية بعدما تخلصت الدولة العثمانية من العدو الخطير، بقي " ظاهر العمر " قائما، ولأجل هذا كلفت الدولة العثمانية حسن باشا قائدا لأسطولها لمواجهة ظاهر العمر بعدما بدأت حربها مع روسيا. فأرسلت حملة بحرية يقودها القبطان حسن الباشا، وعهدت إلى والي دمشق بدعته بحملة أخرى برية. فتقدم " حسن باشا " إلى " الظاهر العمر "، وطالبه بدفع الضرائب المتأخرة⁵ في السنوات الأخيرة فأخذ " ظاهر العمر " يشاور أبنائه والشيوخ حول الدفع من عدمه فأشار إليه إبراهيم الصباغ⁶ بعدم الدفع بحجة أنه لو يدفع لها فإنها ستطالبه إليه بالمزيد، وفي النهاية سيؤدي به الإفلاس وحينئذ ترغمه على ترك منصب الولاية⁷.

¹ الدمشقي، المصدر السابق، 102.

² الدمشقي، المصدر نفسه، ص 103.

³ بازيلى، المصدر السابق، ص 65 - 66.

⁴ الجميل، المرجع السابق، ص 271.

⁵ شلق، المرجع السابق، ص 80.

⁶ درس الطب، والعلوم المختلفة ومارس عمله كطبيب في عكا، أنظر: الصباغ، المصدر السابق، ص 48.

⁷ بازيلى، المصدر السابق، ص 76.

ب/ المطلب الثاني: وفاة ظاهر العمر الزيداني

بعد أن تم قتل " ظاهر العمر " لم يشف هذا غليل المغربي دنكيزلي، بل أحد سيفه وقطع رأسه، وأخذه إلى سيده " حسن الباشا "، الداخل مدينة عكا يوم 16 أغسطس 1775 م¹. وبذلك انتهت حياة الشيخ ظاهر العمر الزيداني، زعيم الدولة الزيدانية عن عمر يناهز 90 سنة، بسبب اغتياله من قبل زملائه المطعين له².

¹ بازيلي، المصدر السابق، ص ص 63-66.

² بازيلي، المصدر نفسه، ص 67.

نستنتج مما سبق أن " ظاهر العمر الزيداني " من أبرز الشخصيات التي برزت في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، إذا استطاع أن يؤسس حكما شبه مستقل في شمال فلسطين وجنوب لبنان، مستفيداً من ضعف الدولة العثمانية وتفكك السلطة المركزية، انطلق من منطقة صفد ووسع نفوذه تدريجياً ليشمل الناصرة، طبريا، الجليل، وانتهى بجعل عكا عاصمة له وميناء تجارياً مزدهراً.

وإعتمد على تحالفات محلية، كما أقام علاقات مع القوى الأوروبية مثل فرنسا، فقد عرف بسياساته التنموية، فشجع الزراعة والتجارة، مما ساهم في رخاء اقتصادي نسبي في المناطق التي حكمها، ومع تزايد قواته، أصبح يشكل تهديداً للسلطة العثمانية، مما أدى إلى شن حملة ضده انتهت بقتله سنة 1775 م على يد " أحمد باشا جرار ".

وفي النهاية تعد حركة " ظاهر العمر " مبكرة لتأسيس كيان محلي مستقل، وتعتبر من أهم مظاهر التحدي للسلطة في العهد العثماني ".

الفصل الرابع: السياسات العثمانية تجاه الحركات الانفصالية ونتائجها في القرن

18 م

المبحث الأول: ردود الأفعال الداخلية والخارجية لحركة علي بك وظاهر

العمر خلال القرن 18 م

• **المطلب الأول:** ردود فعل اتجاه حركة علي بك داخليا وخارجيا.

• **المطلب الثاني:** ردود فعل اتجاه حركة ظاهر العمر بين موقف الدولة

العثمانية وموقف الرعايا.

المبحث الثاني: نتائج حركة علي بك وظاهر العمر خلال القرن 18م.

• **المطلب الأول:** نتائج حركة علي بك في مصر.

• **المطلب الثاني:** نتائج حركة ظاهر العمر في بلاد الشام.

شهد القرن الثامن البلاد تزايداً ملحوظاً في الحركات الانفصالية داخل الولايات العثمانية، حيث حاول بعض الحكام المحليين تعزيز إستقلالهم الفعلي عن السلطة المركزية في إسطنبول، مستغلين ضعف الدولة وتدهور أوضاعها الداخلية والخارجية.

وقد اختلفت مواقف الدولة العثمانية من هذه الحركات، كما تنوعت ردود أفعال أهالي والجاليات الأجنبية، مما أفرز نتائج سياسية وإقتصادية عميقة، على المستوى المحلي. وينصب هذا الفصل في دراسة ردود الأفعال تجاه الحركات الانفصالية ثم الوقوف على الانعكاسات التي خلفتها تلك الحركات على واقع الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر.

1/ المبحث الأول: ردود الأفعال الداخلية والخارجية لحركة علي بك وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر

لقد أثرت حركة علي بك وظاهر العمر ومحاولاتهما لتحقيق الاستقلال والتخلص من التبعية العثمانية، حيث كانت هناك ردود أفعال داخلية وخارجية. ومن بعض الردود اتجهت نحو التأييد مع بعض الحركات، وبعض آخر سعت إلى مقاومة والتخلص من هذه الحركات. وبداية هذا المبحث ينصب علي ردود فعل آخر لا سعت إلى مقاومة والتخلص من هذه الحركات. والبداية هذا المبحث ينصب على ردود فعل إتجاه حركة علي بك داخليا وخارجيا.

أ/ المطلب الأول: ردود فعل إتجاه حركة علي بك داخليا وخارجيا.

كانت لحركة علي بك الكبير ردود فعل داخلية للدولة العثمانية، وخارجية تنوعت على ردود أفعال أهالي والجاليات الأجنبية، وينصب هذا المطلب فيما يلي:

أولاً: ردود فعل داخلية لحركة علي بك الكبير:

• موقف الدولة العثمانية:

عندما استسلمت الدولة العثمانية عن إستخدام القوة ضد علي بك الكبير، تمكن من بسط نفوذه على مصر وسعية نحو الإستقلال وفي تلك أثناء إنتشرت أخبار وذاع صيته في البلاد¹.

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 67.

بينما لجأت السلطة العثمانية إلى إستخدام وسائل خاصة للتخلص من علي بك من خلال الإنقلاب على قائده ومملوكه محمد بك أبو الذهب، وقد أقنعت العثمانيون القائد المنتصر بأن القضاء على الشيخ علي بك سيمنحه ملك مصر والشام¹.

وبناء على ذلك أرسل عثمان باشا أحد رجاله للتفاوض معه، وطالبوا الصلح بينهم، حيث وعدوه بتولي الباشوية، وهي رتبة لم يتحصل عليها أي من مماليكه قبله، كما قدم عثمان باشا أموالاً طائلة لإقناعهم بالانفصال عن سيدهم².

إضافة إلى إنتهاكه حرمة الحرمين الشريفين أي تسمي أيضا دمشق الدينية المقدسة، أحد البابين الكعبة يعرض حياته للخطر. وأن علي بك الكبير يضحى به في سبيل مطامع المملوك الشخصية مما جعل محمد أبو الذهب يقوم بإدراجه بجيشه في مصر والقضاء عليه نهائياً³.

والواقع أن خيانة أبي الذهب ترجع إلى كل هذه الأسباب مجتمعة أهمها هي مطامع المملوك الشخصية التي ضحى في سبيلها مصلحة مصر ذاتها. فهي تقوم بلا شك على ضم الشام إليها حتي تقوى حدودها الشرقية على عائق الدولة العثمانية، وهكذا تمكنت الدولة العثمانية من النجاح على القضاء على حركة الشيخ علي بك الكبير، ويتمكن من الاستقلال والانفصال عن جثمان الدولة العثمانية⁴.

ثانيا: ردود فعل الخارجية لحركة علي بك الكبير:

• موقف الشعب المصري من حركة علي بك الكبير:

لقد أحس الشعب المصري في عهد علي بك الكبير بنعمة الأمن والعدل الذين فقدوه في النزاعات السياسية السابقة، لكنه في الوقت نفسه أحسن بؤطاة الضرائب التي فرضت عليه لتسهيل حملات الحجاز والشام، ولم تكن الإصلاحات والتعديلات التي قام بها علي بك الكبير، لكي يجعلها مورداً يحل محل الضرائب⁵، فقد آتت كلها في المدة القصيرة ورغم ذلك فإن الشعب المصري مجد الشعب لذكرى علي بك الكبير وتأسفهم لإنقضاء عصره الذهبي، وكانوا يأخذون

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 67.

² كرد علي، المرجع السابق، ص 304.

³ زقلمة، المرجع السابق، ص 68.

⁴ زقلمة، المرجع نفسه، ص 68.

⁵ رفعت، المرجع السابق، ص 207.

عليه. كما ذكر فولني " تماديه في فرض الضرائب وقصره حق إستثمار بعض المشروعات الاقتصادية الحيوية على طائفة مريديه ¹ .

• موقف الجاليات الأجنبية من حركة علي بك الكبير:

أما الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر، فقد سعدت في عهده، ولقيت حسن المعاملة، التي كان يحلم بها أفرادها، فقد كانت نزعة التسامح قوية في نفس علي بك الكبير، فقد سعى لتبيين ضرورة تشجيع التجار الأجانب والاستعانة بهم لإنهاض حركته ² .

وعلى أساس هذا شجع هجرة السوريين إلى مصر، وأكرم القناصل الفرنسيين، وأحسن معاملة الرحالة الإنجليزية جيمس بروس مما جعلهم يحبونه ويثنون عليه، أما أهم معاوينه الأجانب فكانوا من الاسرة روستي أولهم التاجر البندقي كارلوروستي الذي اتخذ مشيراً في المسائل التجارية والخارجية ³ .

وكان التجار الفرنسي برتران من ضمن المقربين إليه، وكذلك اليوناني سوفيرلوزينان كوزموبوليتس، ومن السوريين الذين عاونه كثيراً، أهمهم المعلم فرحات ميخائيل ثم يوسف البيطار، إلى هذين وغيرهما من السوريين في مصر يعزون تحريض علي بك على فتح الشام وإلى إبراهيم الصباغ، ووزير ظاهر العمر يعزون تحريض الشيخ علي بك الكبير على التحالف مع علي بك، إي أنهم ينسبون إلى السوريين في مصر وإقتراح توطيد ذلك التحالف بينهم، كما شجع التجار الأجانب لأنه كانوا يثنون عليه في عهده لأن العدل والامن الذي سادا في عهده ساعدا على ازدهار التجاري ⁴ .

ب/ المطلب الثاني: ردود فعل إتجاه حركة ظاهر العمر بين موقف الدولة العثمانية وموقف الرعايا

كانت لحركة ظاهر العمر ردود فعل تتمثل في موقف الدولة العثمانية وموقف الرعايا تجاه هذه الحركة خلال القرن 18 م، وفي هذا المطلب سوف نتناول أولاً موقف الدولة العثمانية.

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 207.

² رفعت، المرجع نفسه، ص 207.

³ رفعت، المرجع نفسه، ص 207.

⁴ رفعت، المرجع نفسه، ص ص 207-208.

• موقف الدولة العثمانية تجاه حركة ظاهر العمر:

كانت الدولة العثمانية على دراية بما يجري وعلى النيات الجريئة لظاهر العمر عن الانفصال عن الدولة العثمانية، لكنهما لم تظهر وإنما علمته التجربة أن يبدى في حالات كهذه أسلوب إظهار العطف إلى أن يحين العقاب المقرر الذي سوف يناله¹.

نتيجة للتمرد الذي كان يقوم به بين الحين والآخر على الإمبراطورية زيادة إلى ذلك سماحه بحماية البدو الذين كانوا يقاطعون وينهبون قوافل الحجاج العائدة إلى دمشق ويسلبونها، وكثيرا ما كان يتحدى الدولة بالسماح لهم بالدخول إلى عكا².

وكذلك كانت الدولة العثمانية تحقد عليه لتساهله مع قراصنة مالطا ببيع أسلحتهم في عكا، فلذلك كانت تنتظر الفرص للقضاء عليه، على الرغم من أنها كانت مضطرة³، لاسيما ما بين الفترة 1768/1774م، وأن تغض النظر عنه وعن تجاوزته، لإنشغالها في حرب برية وبحرية مع الدولة الروسية، التي رأت في ظاهر خير وعون لها على الدولة العثمانية⁴.

عادت العلاقات وازدادت سوءا بين ظاهر العمر والدولة العثمانية، فأوعزت إلى ولاية دمشق وحل بعام 1770م، لكن ظاهر والدولة العثمانية إنتصر عليهم في معركة حاسمة قرب جسر بنات يعقوب عام 1771م، وكما إنتصر عليهم في معركة أخرى قرب صيدا، وبذلك تشتت شمل جيشهم⁵ إلا أن السلطة العثمانية لم تقتنع بذلك، ولم تكن راضية عن سياسة وأعمال ظاهر العمر وتعود هذه العوامل فيما يلي:

- ضعف الولاة العثمانيين في دمشق وصيدا، حيث لم تكن لهم القوة الكافية للقضاء علي ظاهر وفي كل معارك التي دارت بينهم وبينه كانت الغلبة لظاهر⁶

¹ بازيلي، المصدر السابق، ص 52.

² سواعد، المرجع السابق، ص 68.

³ سواعد، المرجع نفسه، ص 68.

⁴ سواعد، المرجع نفسه، ص 68.

⁵ سواعد، المرجع نفسه، ص 68.

⁶ سواعد، المرجع نفسه، ص ص 68-69.

كانت الدولة العثمانية منهكة بالحروب مع روسيا القيصرية عملها منصب في السياسة الخارجية وليس للداخلية، ولذلك إتبع سياسة غض البصر عن المتمردين، وذلك لأنها لا تستطيع بهذه المرحلة أن تتفرغ للمتمردين من داخل¹.

لكن بعد وفاة السلطان مصطفى الثالث، اعتلى " عبد الحميد الأول" ²، العرش ووقع معاهدة مع الظاهر العمر فعهد معه الصلح، وإعطائه الحكم الوراثي لكل فلسطين بإستثناء مدينة القدس التي ينبغي لها بما تحويه من مقدسات أن تبقى تحت إدارة باشا دمشق³، لكن إلى جانب ذلك وضع الباب العالي الظاهر تحت إشراف وإدارة أمير لبنان، وكان إحتراما لمعاهدة رأس العين⁴.

وهذا الأخير الأمر مدروسا على نحو ممتاز بمثابة عربون تشقاق مقبل بين التابعين وضمانة لتأثير الباب العالي، وقد صدر عن الديوان فرمان بالعفو ووعد بتقديم كل التسهيلات على أن يبقى الشيخ هادئا ويدفع إتاوات معتدلة. في حين كان ظاهر العمر في حدود التسعين من العمر⁵، وكان لايزال نشيطا، ولكنه قد أصيب بالوهن من الناحية المعنوية، وقد أثرته اقتراحات الباب العالي، لكن أبناءه أصبوا أنفسهم في سن متقدمة، رأوا فيها مجرد فخ ونصحوا أباهم بمتابعة الحرب⁶.

ومن المعروف أن الدولة العثمانية اتبعت هذا الأسلوب لخداع الظاهر العمر، ونجحت في التخلص منه في النهاية مما أدى إلى تحقيق الكفة لصالح الدولة العثمانية.

• موقف الرعايا من الحركة ظاهر العمر

لقد ساعدت مساواة وعدل ظاهر العمر بين السكان في نشر الامن والطمأنينة بينهم على نجاحه في توالى وبسط العدل وتثبيت حكمه، وهذا ما جعله مشهورا بين الناس لأنه دفع عوائد

¹ سواعد، المرجع السابق، ص 69.

² هو ابن أحمد الثالث ولد سنة 1724، تولى السلطة، 1774، توفي 1789، قضى 43 سنة مسجوناً في القصر. انظر: محمد جمال بيهم، أوليات سلاطين تركيا المدينة والاجتماعية والسياسية، د ط، مطبعة العرفان، لبنان، 1931، ص ص 40-41.

³ بازيلي، المصدر السابق، ص 64.

⁴ بازيلي، المصدر نفسه، ص 64.

⁵ بازيلي، المصدر نفسه، ص 64.

⁶ بازيلي، المصدر نفسه، ص 64.

الظلم للعربان ويمهد طرقها للأمان وبذلك أخذ بسهولة جميع البلاد التي حول طبرية لأن الناس يرغبونه ويلجؤون إليه من ظلم ولاتهم¹.

وفي سنة 1736م كانت البلاد في راحة وإطمئنان، بحيث ووصل الامراء إذا سافرت المرأة وعلى كتفها الذهب لا يعترضها أحد في الطريق ولا تخاف على نفسها²، وكما اكتسب ظاهر العمر محبة والثقة الشيوخ القبائل المجاورة له³.

الإضافة الى ذلك كان له تأثير في كل المناطق يتوجهون بشكواتهم إليه لا إلى الوالي، وفي ظل السلام الشامل الذي كان في عهد ظاهر العمر نمت رفاهية القبائل التابعة له وانتشر نفوذه في كل القبائل المجاورة له في سورية، نظرا لما سمعه الناس عن إقرار المساواة ومنع ظلم في الانحاء البلاد كما حدث مع الأهالي⁴، في قلعة جدين⁵.

ومما سبق نستنتج أن ردود الأفعال المتخذة إتجاه الحركات الانفصالية لحركة علي بك الكبير وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر، يظهر أن تلك الحركات قوبلت بمزيج من رفض والمواجهة من قبل الدولة العثمانية، بحيث إعتبرت الدولة العثمانية هذه الحركات تهديدا مباشرا لوحدة أراضيها وسلطتها المركزية. خاصة أن كلتا الحركتين حاولا توسيع نفوذهما وإستقلال عن الدولة العثمانية.

في حين آخر بدأت بعض الدول الأجنبية كفرنسا إهتمامها بالحركتين حيث رأت فيهما فرصة لإضعاف الدولة العثمانية، وتوسيع نفوذها التجاري والسياسي في المنطقة، أي تعاملت معهما بالمصالح الشخصية، مما أدى في نهاية المطاف إلى فشل هذه الحركات في الاستقلال التام عن الدولة العثمانية.

¹ العكاوي، المصدر السابق، ص 33.

² العكاوي، المصدر نفسه، ص 45.

³ بازيلي، المصدر السابق، ص 34.

⁴ بازيلي، المصدر نفسه، ص 34.

⁵ قرية تقع شمال شرق عكا وجنوب غربي قرية ترشيجا. انظر: عيود الصباغ، المرجع السابق، ص 111.

2/ المبحث الثاني: نتائج حركة علي بك وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر ميلادي

مع تزايد مظاهر الضعف في الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر، برزت في الأطراف العثمانية محلية قوية سعت إلى توسيع نفوذها والتحرر من السيطرة المباشرة للباب العالي. وقد مثلت حركة علي بك الكبير في مصر وظاهر العمر في الشام نماذج بارزة لهذا التوجه، حيث تجاوزت طموحات القادة المحليين متخذين من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة وسيلة لتعزيز سلطتهم، تنصب دراسة هذا المبحث إلى تناول الانعكاسات السياسية والاقتصادية لهاتين الحركتين.

أ/ المطلب الأول: نتائج حركة علي بك في مصر

شهدت حركة علي بك الكبير خلال القرن الثامن عشر العديد من التحولات السياسية والاقتصادية، كانت من أبرزها حركة علي بك الكبير فقد تمثلت حركته في الاستعادة الاستقلال المصري من السيطرة العثمانية، وسنتناول في هذا المطلب سوف ندرس نتائج السياسية والاقتصادية التي نتجت من خلال حركة علي بك خلال هذا القرن.

1- النتائج السياسية:

لقد كانت أولى نتائج حركة علي بك على الواقع السياسي في مصر هو إنفراد علي بك في الشؤون الحكم في بلاد مصر، بالإضافة إلى ذلك كانت لهذه الحركة أثر جد ملموس من الناحية السياسية¹.

مما أدى إلى إختفاء الوالي الذي كان يمثل الدولة العثمانية بمصر، وأدى ذلك إلى ضعف الحامية العسكرية في عهده ماعدا فرقة المستحفظان التي تولت عمل الشرطة، بالإضافة إلى ذلك كانت لهذه الحركة ضربة للسيادة العثمانية هددت وجودها في البلاد المصرية².

¹ رفعت، علي بك الكبير، المرجع السابق، ص 236.

² رفعت، المرجع نفسه، ص 227.

فشلت محاولة علي بك الكبير في الانشاء دولة مستقلة بسبب عدم توفر الوقت الكافي له لتأسيس العثمانية، ويعود سبب هذا الإخفاق إلى سياسته العثمانية التي سعت لاستمالة الأمراء المصريين، وخاصة "محمد أبو الذهب"¹ للانقلاب على سيدهم "علي بك"².

ومع ذلك حاول أبو الذهب موصلة سياسة علي بك الكبير والسعي نحو الاستقلال البلاد، مع مراعاة بعض الأمور التي تجعل هذه السياسة مقبولة من قبل العثمانيين³، وبالرغم من وصول الوزير خليل باشا واليا لمصر 8 جوان 1773م إلا أن هذا الأخير لم يكن سوى الاسم والتوقيع على الأوراق، أما السلطة الفعلية كانت كلها بيد أبو الذهب الذي أعاد الشام⁴ إلى الدولة العثمانية، كما طرد الشريف عبد الله من مكة الذي نصبه علي بك الكبير سابقا عليها عن عودة سك العملة العثمانية التي تعترف بسيادة الوالي، وسداد متأخرات ثلاث سنوات من الضرائب والاحتفال الباذخ بتنصيب خليل باشا واليا على مصر لكن لم يستمتع بهذا أنه هزم وقاموا بتتحيه عن السلطة، فقد كانت سياسة محمد أبو الذهب تختلف كثيرا عن سلفه سوءا داخليا أم خارجيا⁵.

إضافة إلى ذلك لم تعد مصر في الفترة الواقعة بين 1773م، ونزول نابليون بونابرت بجيشة في مصر سنة 1798م سوى مسرح لتجبير المماليك وتجاهلهم للسيادة العثمانية في عهد أبي ذهب رغم إقراره بالولاء للدولة وإرساله الخزنة وأوقاف الحرمين⁶ الذين سعوا إلى السير على خطى علي بك الكبير للانفراد بالحكم في مصر وهم إسماعيل ومراد وإبراهيم⁷ الذين تنازعوا فيما بينهم خلال الفترة 1775/1798م حول السلطة وصاحب هذا النزاع بعدة الاضطرابات وظلم وقسوة

¹ ملوك محمد بك أبو الذهب وخشداش إبراهيم الكبير، أصبح مملوكا لديه 1768 م، ثم سرعان ما أعنق وأمر وأصبح ذو قوة ونفوذ في مشيخة سيده محمد بك أبو الذهب، كان مراد كريما مع أمرائه علي بك وغيرهم، ممن ما أسيادهم، وتولى المقام في 15 ذي الحجة 30 أكتوبر 1784 م، فإنضم إليه أمراء علي بك ومماليكه وطغيانهم على الأهالي، قاد حملته ضد الفرنسيين، وانتهى الأمر باتفاقية بينهما توفي مراد بك بالطاعون في 7 أبريل 1801 م، أنظر: خالد أحمد الرحبي، تاريخ الوزير محمد علي باشا، نج: دانيال كويسيليون وآخرون، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة - مصر - 1997م، ص ص 65-66.

² صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 127.

³ مانتران روبير، المرجع السابق، ص 611.

⁴ المنطقة التي تشمل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين. وهي ممتدة على شكل قوس من فرات إلى غزة وخليج العقبة ويطلق عليها منطقة الهلال الخصيب، كما تطلق كلمة الشام على مدينة دمشق وحدها كناية عن المنطقة ومنذ 1864 أصبحت تعرف بسوريا بدل الشام. أنظر: علي لعبيدي، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية بالشرق العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2، 2015، ص 105.

⁵ مانتران روبير، المرجع السابق، ص 611.

⁶ رفعت، علي بك الكبير، المرجع السابق، ص ص 226-227.

⁷ ملوك بك أبو الذهب ذو تاريخ حافل في مصر، تقلد منصب إمارة الحج سنة 1773 م تولى العديد من المناصب كشيخ البلد سنة 1803 م فائقام مصر وقد سيطر إبراهيم بك وخشداشه مراد بك على مجريات الأمور في مصر حتى قدوم الحملة الفرنسية وانتهى به الأمر بهروبه، توفي سنة 1817. أنظر: خالد أحمد الرحبي، تاريخ الوزير محمد علي باشا، المرجع السابق، ص ص 61-60.

عمت كل القطر حينها¹ وكانت الوطأة على التجار الفرنسيين، ثم تدخل العثمانيين بحملة عسكرية عام 1786م، مما اضطر كل من إبراهيم ومراد² الهروب من مصر إلى الصعيد إلا أنها عادت بعد وفاة إسماعيل بك بمرض الطاعون، وشغلوا منصب إمارة الحج ومشيخة البلد بالتناوب فيما بينهم وبقوا هكذا إلى آغاز الفرنسيون على مصر سنة 1798م³.

بالإضافة إلى ذلك في عهد علي بك الكبير اكتسبت مصر شخصية بارزة، حيث بدأت تتواصل مصر مباشرة بالسياسية الخارجية، وعلى هذا أساس حاول علي بك عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية، كما نجح في عهد اتفاقيات مع الانجليز⁴.

بالإضافة أن علي بك إهتم ببلاد الحجاز والشام ونجاح الفرنسيين والانجليز الأحياء طريق البري، وتم إتصال بروسيا كلها عوامل جذبت أنظار الدول إلى مركز خطير كحلقة تربط بينهم وتعتبر نقطة وصل بين أوروبا والهند⁵.

ونتيجة لذلك بدأت تظهر أطماع بعضها تجاري وغالبها سياسي من جانب النمسا وإنجليز وفرنسا⁶.

ومما سبق نستنتج بأن حركة علي بك الكبير سعت إلى الاستقلال الدولة العثمانية، فإمتنع عن دفع الضرائب وضرب النقود بإسمه، ووسع نفوذه نحو الشام والحجاز لكن خيانة قائده محمد بك أبو الذهب أدت إلى هزيمته وسقوط حكمه. وكشفت حركته عن ضعف الدولة العثمانية لكنهما فشلت في تحقيق إستقلال دائم، وظل النفوذ المملوكي قائما حتي نهاية القرن الثامن عشر.

2- النتائج الاقتصادية:

تهافت الإنجليز والفرنسيين على عقد معاهدات تجارية مع مصر في الشيخ علي بك الكبير، ونشأت من بينهم أن وجود حكومة قوية في مصر تحمي الأمن وطريق التجارة، وتجعل بضائعهم

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 227.

² اشتراه محمد أبو لهب، وأصبح مملوك لديه عام 1768 م، ثم ما اعتنق وأصبح ذو قوة ونفوذ وانظم إليه واتبع علي بك، تولى منصب فائق في 30 أكتوبر 1784 م وقاد حملته ضد الفرنسيين بأمر باتفاقية بينهما. انظر: خالد أحمد الرحبي، المرجع السابق، ص 65.

³ هو اسماعيل بك الكبير من ممالك ابراهيم بين الكبير. انظر: عبود، المرجع السابق، ص 58.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 288.

⁵ رفعت، المرجع نفسه، ص 233.

⁶ رفعت، المرجع نفسه، ص 234.

في مأمن من قطاع لطرق. ولاشك في أن التوفيق الذي لا قوة في عهد علي بك الكبير أدى إلى إستمرار نشاطهم تجاري من بعده وإنتعاش الطريق المصري¹.

ولاشك أن حركة علي بك وحملاته في الحجاز وبلاد الشام، بالإضافة إلى نجاح الفرنسيين والانجليز في تحقيق الفوائد الاولى من إحياء طريق البري، ثم إرتباطه بروسيا².

وكنتيجة لذلك ظهرت أطماع تجارية وسياسية من قبل النمسا وروسيا وإنجليز وفرنسا، فقد كانت الإمبراطورية النمساوية تفكر في السيطرة على تجارة الشرق وتحويلها إلى الطريق البري، وكان من أبرز مؤيدي هذه الفكرة ومروجيها في مصر عام 1782م كارلورستي³ قنصل عام للنمسا بالقاهرة، لكن هذه الأفكار لم تتخذ شكلا علميا⁴.

أما روسيا فيظهر أنها ندمت على عدم استغلال الفرصة التي هيأتها لها حركة علي بك الكبير فأخذت تطمح إلى مصر أواخر القرن الثامن عشر، فعينت لها قنصلا بالإسكندرية يدعى البارون دي ثونيه وكلفته أن يحرض إبراهيم بك و مراد بك على الانفصال عن السلطان ووعدت بمساعدتها وحمايتها وتبع ذلك إستخدام إبراهيم بك لكثير من المماليك الروس⁵.

أما إنجليز احست أن علي بك الكبير أوجد في مصر سنة 1805م حالة الاستقرار وطيدة، فعادت إلى محاولة عقد معاهدات تجارية وإحياء الطريق البري حتي نجحت سنة 1854م، في الحصول على موافقته على الإصلاح الطريق من السويس إلى القاهرة وإنشاء طريق الحديدي بين القاهرة والإسكندرية⁶.

ولما أحل نجم دولة علي بك الكبير عادت الدولة العثمانية إلى منع سفر البضائع الهندية عن طريق السويس لان في هذا مقاربة طريق آخر بري يمر من تركيا وداخل حدود بلادها هو الإستانة إلى حلب⁷.

¹ رفعت، المرجع السابق، ص 233.

² رفعت، المرجع نفسه، ص 234.

³ أصله تاجر صغير في فينسيا، وقد تحصل روستي على وظيفة قنصل جنرال الامبراطور ألمانيا في مصر. انظر: زقلمة، المرجع السابق، ص 73.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 225.

⁵ رفعت، المرجع نفسه، ص 225.

⁶ رفعت، المرجع نفسه، ص 225.

⁷ حلب عاصمة الحمدانيين. انظر: علي لعبيدي، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية بالمشرق العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2، 2015، ص 18.

ومنها أهم مورد من مواردها ميزانيتها وخسرت خسائر مالية لا تعوض¹.

أما عن الأوضاع الاقتصادية في ظل هذا الحكم فقد تأثرت بالثورات والفتن وفوضى الجند وتفرق السلطات، فلم يتوفر أحد على دراسة أوضاع البلاد الاقتصادية ومن ثم كانت موارد مصر مثقلة بالأتاوات والجاليات المختلفة فكانت مصر لا ترسل من حين لآخر فرقاً ونجداً للإشتراك في حروب الدولة العثمانية² مما أدى إلى إهمال للمرافق العامة وكثيراً ما تعطلت طرق المواصلات بين أجزاء القطر، كما اضطرب حال الأمن أيضاً دون نمو التجارة الداخلية وتضاءلت لنفس ذلك تجارة الشرق والغرب؛ وإساءة معاملة الأجانب وأرهقوا بالضرائب³.

بإضافة إلى ذلك اشتدت وطأة البكوات على التجار الفرنسيين وواظب القنصل الفرنسي على إرسال الشكاوي والاقتراحات، وكانت كلها تدور حول وجوب قيام فرنسا بعمل حربي حاسم لا يقل عن إستعمار مصر، والتحذير من الاعتماد على فرمانات السلطان أو توقيع أية فائدة من جانب العثمانيين⁴.

ففي 17 يونيو 1795م مثلاً كنت ماجالون أرسل تقرير من صورتين أرسلهما إلى سفير الفرنسي وأخرى إلى لجنة الأمن العام في باريس قائلاً فيه: ينبغي ألا نعتمد في تحسين مركز الفرنسيين في مصر على فرمانات السلطانية، وكانت خاتمتها التقرير الوافي المفصل الذي قدمه بيده إلى حكومة الثورة الإدارة بباريس سنة 9 فبراير 1798م، مما إشتدت حكومة الثورة به ويخبره بإرسال حملة لفتح مصر عام 1798م بقيادة نابليون بونابرت⁵.

بالإضافة إلى ذلك أهملت المحاصيل الشتوية الزراعية بعد وفاة علي بك الكبير من القمح والشعير والفل والحمص والكتان والبصل والخضروات والفواكه، بينما كانت المحاصيل الصيفية كالقطن والسمسم والقطن والنيلة⁶.

¹ زقلمة، المرجع السابق، ص 73.

² شلق، المرجع السابق، ص 97.

³ شلق، المرجع نفسه، ص 97.

⁴ رفعت، المرجع السابق، ص 235.

⁵ رفعت، المرجع نفسه، ص 236.

⁶ الشلق، المرجع السابق، ص 98.

مما سبق أدت حركة علي بك الكبير إلى إزدهار محدود لطبقة المماليك نتيجة تحكمهم في الموارد، بينما تدهور الحال للاقتصاد العام بسبب زيادة الضرائب واضطراب التجارة خاصة بعد الحملات العسكرية إلى الشام والحجاز مما أثر على الاستقرار الاقتصادي بسبب زيادة الأعباء المالية على الشعب.

وبعد انتهاء من دراسة نتائج السياسية والاقتصادية لحركة علي بك الكبير سوف نشرع بعدها في دراسة نتائج حركة ظاهر العمر من الناحية السياسية والاقتصادية.

ب/ المطلب الثاني: نتائج حركة ظاهر العمر في بلاد الشام

شهدت بلاد الشام في القرن الثامن عشر تحولات ملحوظة، وكان لحركة ظاهر العمر دور بارز في هذه التغيرات أسهمت حركته في إحداث نتائج سياسية تمثلت في تفويض سلطة العثمانيين محليا وأخري اقتصادية من خلال تنشيط التجارة. وبداية هذا المطلب ينصب على نتائج سياسية وبعدها نتائج الاقتصادية.

1- النتائج السياسية:

لقد ساهمت حركة ظاهر العمر في تحقيق نوع من الأمن والطمأنينة في فلسطين بإنشاء قوات عسكرية من أبناء البلاد وبناء الحصون والقلاع في الأماكن التي مواقعها الاستراتيجية وحول بعض المدن كطبريا وصفد وعكا إلى قلاع صمدت أمام حملات الدولة العثمانية¹.

كما أعطى الباب العالي لظاهر العمر شأن الاتباع الآخرين لتطوير والأزدهار البلاد التي يحكمها وكما خففت من وطأة إضطهاد الباشوات على القبائل، وخلفت فرصة لجمع الثروات التي عادت في الأخير إلى خزانة الدولة².

ساهمت هذه الحركة في تصعيد الصراع بين القوى المحلية، المتمثلة في ظاهر العمر والسلطة المركزية التي يمثلها الوالي وقد أدى ذلك إلى وقوع العديد من المواجهات العسكرية³،

¹ ياغي، المرجع السابق، ص 111.

² بازيلي، المصدر السابق، ص 53.

³ رافق، المرجع السابق، ص 69.

وعادت الأمور لتبرز دور الباشاوات الذين استخدمتهم الدولة للقضاء على مثل هذه الحركات، وقد ضعف دورهم بشكل جد كبير عندما عجزوا عن إنهاء حركة ظاهر العمر¹.

نتجت عن حركة ظاهر العمر شخصية جديدة تولت الأمور بعده، لكنها كانت موالية للدولة العثمانية. تمثلت هذه الشخصية في أحمد باشا الجزائر²، الذي تولي إدارة إيالة صيدا، حيث خضعها وخضع مشايخها ووضع حد لسلطتهم. حيث قام باشا الجزائر بقمع ثورات العشائر وبعض المشايخ، كما قضي تقريبا على المتأولة كعربون شكر قامت به الدولة العثمانية بتمديد عهده لمدة عشر سنوات ومنحه لقب وزير³.

تعتبر العلاقات التي أقامها ظاهر العمر مع القوى الأجنبية مثل روسيا وفرنسا ومالطا نتيجة مهمة تستحق الإشارة إليها، فقد كانت هذه العلاقات قائمة على منفعة المؤقتة لكنها تحولت على المدى الطويل إلى تهديد لأمن والاستقرار البلاد الشام، يعود ذلك إلى أن هذه العلاقات أفسحت المجال للقوى للتعرف على المنطقة أكثر، حيث أظهرت أهميتها الاستراتيجية، مما أدى إلى تحولها إلى مصالح ثابتة وعميقة تجسد لاحقا في محاولات للسيطرة على بلاد الشام⁴.

وقد تدين عكا ببداية نهضتها الحديثة التي بدأت في حوالي منتصف القرن الثامن عشر للشيخ ظاهر العمر، الذي إستولى عليها وأقام بها وجعل لها أسوارا وأبراجا سنة 1760م. وازدهرت نهضتها وذاعت شهرتها حين تولي أحمد باشا الجزائر باشاوية صيدا حيث نقل مقر حكمه إلى عكا وقام بتحسينها وتعزيزها بالجند⁵.

واستفاد المتمردون من الوضع المزدهر في أقاليم مثل ظاهر العمر الذي شهدت مداخله زيادة مستمرة، وهذا الامر مكنه من شراء تساهل باشا صيدا، الذي كان يتجاهل مشاريعه، بالإضافة إلى إرسال الذهب في الأوقات المناسبة إلى العاصمة وكان هدفه التحرر من تبعية

¹ رافق، المرجع السابق، ص 69.

² اسمه أحمد ولقب بالجزار لجوره وكثرة الذين قتلهم ظلما، ولد سنة 1720 في إحدى قرى البوسنة ولما بلغ السنة السادسة عشر من عمره اعتدى على عرضه امرأة أخيه. ثم فرا إلى القسطنطينية. انظر: منصور أسعد، المرجع السابق، ص 55.

³ نادبة عمروش، حركات التمرد في بلاد الشام من أوائل 17 م إلى ثلاثينات القرن 19 م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2015 م، ص 19.

⁴ نادبة عمروش، المرجع نفسه، ص 19.

⁵ بازيلى، المصدر السابق، ص 52.

الباشاوات والارتباط مباشرة بالباب العالي، خاصة بعد أن ألحقت به سناجق¹ عكا وصيدا وطيربة والجليل².

2- نتائج الاقتصادية:

شهدت فلسطين انتعاش هي الأخرى خاصة في حالة الاقتصادية في عهد ظاهر العمر الذي إهتم إهتماما بالغا من الناحية الاقتصادية. فكانت منطقة الجليل شمالي فلسطين تشتهر بزراعة القطن، وكان التجار الفرنسيون يستفدون منها لدرجة أنهم احتكروا القطن الفلسطيني حتي قبل حصاده، وكانت هذه الحالة الاقتصادية الزاهرة بالإضافة إلى إتساع شهرة ظاهر العمر وازياد قوته وتحكمه في الأمور الاقتصادية³.

قد شجعت الأجانب على التعامل مباشرة معه، علما أن كثيرا من القوى الفلسطينية كانت تابعة لوالي الشام، فخضع له الفرنسيون وجعلهم يعقدون معه معاهدة تجارية سنة 1753م بدلا من عقدها مع السلطان⁴، الذي كان وراءه المشايخ بازدياد سلطتهم وتأثيرها على إيرادات الميرى مثلما فعل ظاهر العمر⁵ لذا عمدت الدولة العثمانية على إضعاف قوة المشايخ والأمراء⁶.

كان هذا التطور الاقتصادي في فلسطين قد ساعد على نمو بعض المدن الفلسطينية مثل عكا والناصرية وصفد وعرا به وشفاء وعمر⁷، وغيرها من المدن. وساد الأمن والعدالة فيها، فجذب المزارعين المسيحيين من قبرص واليونان الذين أنشؤوا البساتين والحدائق التي غطت سهل عكا فإزدهرت الزراعة⁸ وفي تلك الأرض وتبعها إزدهار التجارة بسبب التسامح الذي تميز به في سياسته لظاهر العمر⁹ حتي اشتبه بأمر علاقته بقراصنة مالطا¹⁰.

¹ كلمة تركيا الأصل من السناجق بمعنى اللواء، أطلقته الدولة العثمانية على إمارة اللواء وتأتي بمعنى الرمح. انظر: عبود، المرجع السابق، ص 56.

² عمروش، المرجع السابق، ص 127.

³ عمروش، المرجع نفسه، ص 126.

⁴ عمروش، المرجع نفسه، ص 26.

⁵ أسعد منصور، المرجع السابق، ص 50.

⁶ البرغوثي، المرجع السابق، ص 213.

⁷ مدينة تقع شرقي حيفا على بعد 22 كلم ترتفع 100 من على سطح البحر انظر: عبود، المرجع السابق، ص 31.

⁸ عمروش، المرجع السابق، ص 226.

⁹ بازيلى، المصدر السابق، ص 52.

¹⁰ عمروش، المرجع السابق، ص 126.

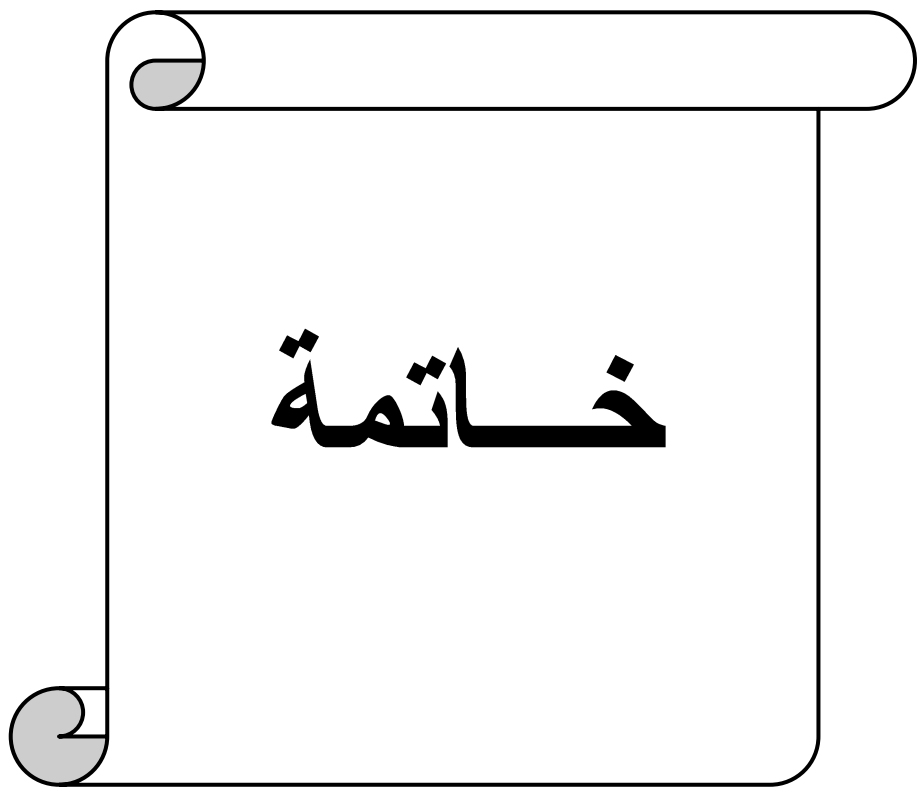
وعموماً كان الاضمحلال الزراعي سبباً في الاضمحلال وإنقراض الحرف المزدهرة كالصناعات الغزل والنسيج والفخاريات، فكان جميعها تشهد تدهور والتأخر والتخلف في مختلف جوانبها بسبب العزلة السياسية والاقتصادية مصرية ومؤثرة في ظل النظام الاقطاعي المملوكي العثماني لشؤون الحكم¹.

¹ شلق، المرجع السابق، ص ص 98-99.

وفي الختام الفصل نستنتج بأن القرن الثامن عشر بروز حركات الانفصالية تمثلت في سعي كل علي بك في مصر في مصر وظاهر العمر في الشام إستقلال عن الدولة العثمانية وتأسيس كيانات شبه مستقلة، وقد تباينت المواقف تجاه الحركات الانفصالية بين الرفض والدعم والتأييد.

بالإضافة إلى أن الدولة العثمانية تبنت مواقف عدائية حيث رأت هذه الحركات تهديدا مباشرا للوحدة الإمبراطورية وسلطانها المركزية فعملت على قمعها بالقوة، ففي حين عملت القوى الأجنبية مثل بريطانيا وفرنسا للاهتمام بها وسعت أحيانا لاستغلالها سياسيا واقتصاديا دون ان تتدخل بشكل مباشر لدعمها اما من الناحية اثارها فقد أدت هذه الحركات الى اضعاف مؤقت للنفوذ العثماني وساهمت في تأجيج الروح الانفصالية ومحاولات الاستقلال لاحقا كما كشفت عن هشاشة القبضة العثمانية على الأطراف الإمبراطورية، وهو ما مهد الطريق فيما بعد للتدخلات الأجنبية وتزايد التدخل الأوروبي في شؤون المشرق العربي.

هكذا فإن دراسة هذه الحركات لا تكفي بتفسير ظاهرة التمرد بل تساعد على فهم المسار التفكك الذي عرفته الدولة العثمانية في القرون اللاحقة.



في ختام هذا الدراسة، الخاصة بالحركات الانفصالية التي شهدتها الدولة العثمانية في كل من بلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي، التي جسدها كل من علي بك وظاهر العمر في بلاد مصر والشام نموذجا، استخلصنا مجموعة من النتائج وهي كالتالي:

عند دراستي لأوضاع مصر والشام خلال القرن الثامن عشر، لاحظت تدهورا جد كبير في الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال القرن الثامن عشر ميلادي، فقد شهدت مصر والشام ضعفا في الحكم العثماني، مما أدى الى صعود قوى محلية مثل المماليك في مصر وبعض الزعامات المحلية في الشام.

شهد القطاع الزراعي في مصر تدهورا بسبب الإهمال، وكثرة الضرائب المفروضة على الفلاحين، وكما تأثرت الزراعة سلبا بانخفاض منسوب مياه النيل، وهذا أدى الى الانخفاض الإنتاج الزراعي.

مثلت سياسة ظاهر العمر تحولا مهما في علاقة الزعامات المحلية بالدولة العثمانية، حيث عكست بداية تفكك السلطة المركزية وتنامي الطموحات الانفصالية. كما جسدت قدرة الزعامات الإقليمية على توظيف الظروف السياسية والاقتصادية لصالحها، مما مهد لاحقا لصعود قوى محلية أخرى والانفتاح على التدخل الأجنبي في منطقة، فقد برزت سياسته الاستقلالية النسبية عن السلطة رغم بقاءه شكليا تحت طاعتها والاعتماد على القوة المحلية والتحالفات القبلية وعزز الاقتصاد المحلي لتنشيط التجارة والزراعة.

لقد أظهرت حركة علي بك الكبير الفراغ السياسي عرفته مصر والولايات العربية بعد تدهور الحكم المركزي العثماني، ولم تكن مركزية في كل من دمشق ولبنان.

ويتضح من خلال دراسة للتوسعات المحلية لظاهر العمر في القرن الثامن عشر أن هذه شكلت هذه التوسعات نواة لحكم محلي ومستقل نسبيا، مما أبرز الشخصيات مهمة التي ارسى نمطا متميزا في الإدارة المحلية في بلاد الشام خلال هذه الفترة.

ساعد انهماك الدولة العثمانية بحروبها الخارجية مع روسيا في ظهور حركة ظاهر العمر الزيداني خاصة، وأن هذه الدولة اتبعت الأولوية لحل مشاكلها الخارجية لتتظر لاحقا في أمورها

الداخلية. لذلك لاحظنا أنه بعد انتهاء حربها مع روسيا بدأت الدولة العثمانية بالتركيز على ظاهر العمر الزيداني للقضاء عليه.

تعتبر حركة علي بك الكبير وظاهر العمر في مصر والشام خلال القرن الثامن عشر مظهرا من مظاهر بداية إنهيار النفوذ العثماني في كلتا المنطقتين، فقد ساهمت هذه الحركتين في تحفيز الروح الانفصالية ومحاولة الاستقلال. كما كشفت عن هشاشة الدولة العثمانية على الأطراف الإيالة في شؤون المشرق الإسلامي.

لقد تعددت الآراء حول حركة علي بك الكبير، فهناك فئة ترى بأن علي بك كان يهدف من حركته إلى الاستقلال التام عن الدولة العثمانية، وإقامة سلطة مصرية مستقلة التي إعتد فيها عن طرد الوالي العثماني طيلة فترة حكمه، أما فئة أخرى رأت بأن علي بك كان يهدف من حركته بالانفراد بالحكم تحت سيادة الدولة العثمانية دون أن يفكر في خلع طاعتها في اعتبار أن الدولة العثمانية ستقف بجزم ضد هذا الاتجاه استناداً على أدلة منها اعتراض "علي بك" الملقب بسلطان مصر والخابان البرين والبحرين الذي قلده إياه شريف مكة.

من مظاهر السيادة العثمانية في ظل الحكم علي بك الكبير سكه للعملة الذهبية والفضية التي أمر بنقش على أحد وجهها إسم السلطان مصطفى الثالث، وعلي بك من جهة أخرى ضرب مصر، كما حرص "علي بك" على استمرار الخطبة السلطان العثماني باعتباره السلطان لكل دولة بما فيها مصر.

كانت حركة ظاهر العمر تسعى للتحالف مع أعداء الدولة العثمانية كروسيا من أجل الاستقلال والانفصال عن الإيالة لعثمانية.

كانت حركة علي بك وحملاته نحو الحجاز وبلاد الشام تلفت أنظار الدول الأوروبية إلى مركز بلاد مصر والشام المهم والاستراتيجي.

بينت حركة علي بك الكبير مدى الحقد الصليبي على المسلمين، والاطماع الاستعمارية في بلاد مصر والشام، ومدى اهتمامهم وعدم استغلالهم للفرص للإيقاع بالدولة العثمانية كما وقع علي بك في عدة الأخطاء منها كان يعطي ثقته لمن لا يستحقها مثلما منحها لمحمد أبي الذهب.

إعتمد ظاهر العمر في بداية عل عناصر مرتزقة كانت مصدر قوته، لكن هذه العناصر تحولت في النهاية المطاف إلى نقمة عليه. لذلك يمكننا القول أنه رغم حركة ظاهر العمر شكلت تهديدا للدولة العثمانية في الشام، إلا أنها ساهمت في الحد من ظلم الولاية المستبدين.

ساهمت حركة ظاهر العمر في نشر الأمن والعدل في فلسطين، بالإضافة إلى ازدهارها اقتصاديا وتمتعها برفاهية العيش لفترة مؤقتة جدا في فترة غاب فيه حكم الدولة العثمانية.

وفي نهاية بحثنا إن حركة علي بك الكبير وظاهر العمر كانا نموذجا لمحاولات الانفصال عن الدولة العثمانية، إلا أنهم فشلوا في نهاية ولم يحققوا مشروعاتهم.

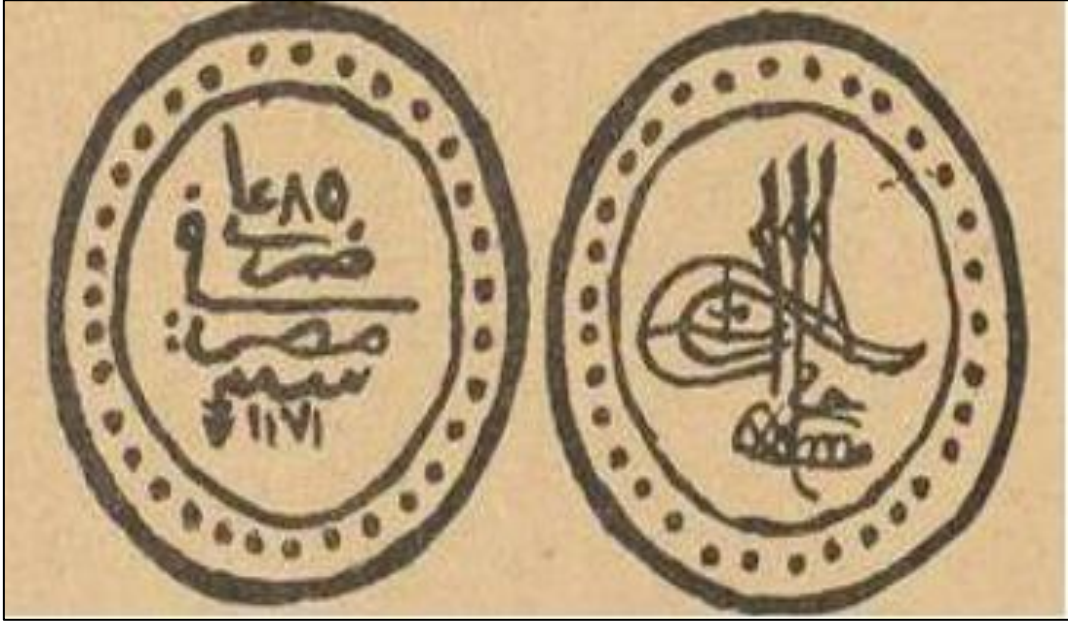
الملاحق

الملحق رقم (1): علي بك الكبير في شبابه



رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 33.

الملحق رقم (2): النقود في عهد علي بك الكبير



رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 85.

الملحق رقم (3): علي بك الكبير في أواخر عهده



رفعت، علي بك، المرجع السابق، ص 201.

الملحق رقم (4): مخطط حملة علي بك الكبير على الحجاز وبلاد الشام



سامي عبد الله المغلوث، أطلس في تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 517.

الملحق رقم (5): الرسالة التي بعثها علي بك الكبير إلى أهالي دمشق

نص الوثيقة

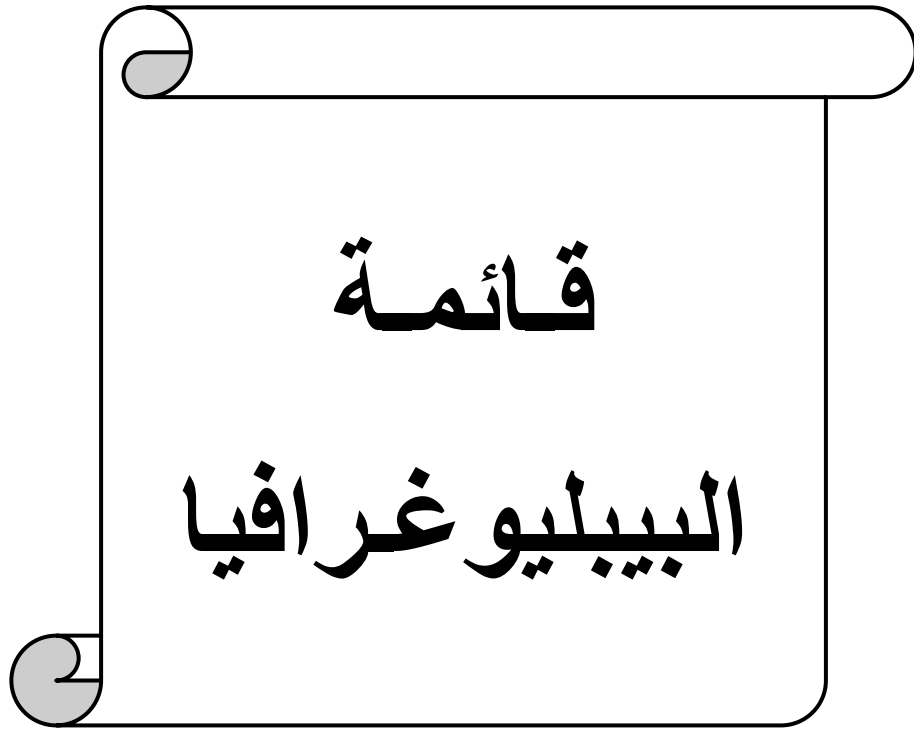
صدر هذا فرمان الشريف الشأن من ديوان^(١) مصر القاهرة المحروسة المعالي. دامت لها
المفاخر والمعالي من من به الكريم الثنان على أهل هذا الزمان. وأظهر العدل والأمان. وعم
بالفضل والإحسان جميع أهل القرايا والبلدان. وراغم أهل الجور والطفغيان. أمير الأمراء
الكرام. وعظيم الكبرا الفخام. المختص بمزيد عناية الملك العلام. أمير اللواء الشريف السلطاني
والعلم المنيف الخاقاني^(٢). أمير على بك أمير الحاج سابقاً. وقيم مقام^(٣) مصر المحروسة
حالياً، دام عزه وبقاء. ورفع بالسعد لواء. مضمونه حمد باري النعم. ومحى الرعم. الذي قدس
وعظم قدر المسجد الحرام. وبارك حوله بجزيل النعم. وأمر بالعدل في سائر الأمم. وأوعد الظالم
بالهلاك والنقم. التقابل تعالى في كتابه المبين. أن الله لا يحب الظالمين ولا يصلح عمل
المفسدين. ولا تأبسون من القوم الفاسقين.

من بعد الصلاة والسلام على رسوله الأمين. سيد الخلق أجمعين. الصادق وهو أصدق من
قال الضرر يزول وعلى أصحابه الذين سادوا وشادوا الدين صلوة وسلاماً دائماً ليوم الدين.
فمن بعد مزيد للسلام والتحية (بأنواع) الأمن والبركات. وجزيل النعم والخيرات. في كل
الأوقات والساعات. إلى حضرة العلما العالمين والفقها المحدثين المفتين بشريعة سيد الأنام
وقضاة الإسلام وأرباب المناصب والحكام. والخاص والعام. من أهالي دمشق الشام. اعزهم الله
بنور العقل وأحكامه. واجارهم من الظلمة وظلامه. بلفظه وأكرامه. وأفاض عليهم جزيل
إنعامه. قالذي يحيط كريم علمكم. وزكى فهمكم. إن الأمة لا تجتمع على الضلالة وقد علمتم
ما صنعه عثمان باشا^(٤) في أرضكم من الظلم والجهاالة. وأنه قد اعترض إلى الحاج

الملحق رقم (07): خريطة توضيحية لمدينة حيفا وضواحيها



الشهباني، المصدر السابق، ص 5



1/ المصادر العربية:

القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 156.

سورة الرحمن، الآية 27، 28.

1- الرافي عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطوير نظام الحكم، ج1، ط1، مطبعة النهضة، مصر، 1929م.

2- الشهباني احمد حيدر، أحمد باشا الجزار مع نابليون بونابرت، تج: عبد العزيز جمال الدين، دط، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، 2008م.

3- الرشيدى أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي أمانة الحاج، تج: ليلي عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

4- الملواني يوسف، تحفة الاحباب بمن تولي مصر من المملوك والاحباب، دط، دار الافاق العربية، القاهرة، مصر، دت.

5- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، ط1، دار النفائس، لبنان، 1981م.

6- الدمشقي ميخائيل، تاريخ الشام 1720/1782م، دط، مطبعة القديس بولس، بيروت - لبنان، 1930م.

7- الصباغ عبود، الروض الزاهر في تاريخ الظاهر، تج: عبد الكريم محتفظة، عصام مصطفى هزايمة، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1999م.

8- برنار صمويل، الحياة الاقتصادية في مصر القرن الثامن عشر، ج3، دط، دار الشايب للنشر، 1993 م.

9- بك كلوث، لمحة عامة إلى مصر، تر: محمد مسعود، تق: أحمد زكريا الشلق، دط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، 2011م.

10- بازيلى قسطنطين، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، تر: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، 1984م.

11- جلبى اوليا، الرحلة الحجازية، تر: الصفصافي أحمد المرسى، دط، دار الوفاق العربية، دب، دت.

- 12- الجبرتي عبد الرحمن حسن، عجائب الآثار والتراجم والأخبار، تج: عبد الرحيم الرحمن الرحيم، تق: عبد العظيم رمضان، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر 1997م.
- 13- خالد أحمد الرحبي، تاريخ الوزير محمد علي باشا، تج: دانيال كريسيليون، آخرون، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة - مصر، 1997م.
- 14- شاروبيم بك ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج3، ط1، المطبعة الأميرية، مصر، 1898م.
- 15- قساطلي نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1879م.
- 16- الجبرتي عبد الرحمن حسن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تج: عبدالرحيم الرحمن عبد الرحيم، ج3، د ط، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1998م.
- 17- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تج: عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1998م.
- 18- البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية، د ط، ددن، دب، دت.
- 19- الطبري أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، دط، دار المعارف، مصر، دت.
- 20- العكاوي ميخائيل، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزايدني حاكم عكا وبلاد صفد، ط1، شركة نوابع الفكر، القاهرة، مصر، 2010م.
- 21- اليسوعي لويس معلوف، تاريخ حوادث الشام ولبنان، دط، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1912م.
- 22- القزويني زكريا، أثار البلاد وأخبار العباد، دط، دار الصادر، بيروت، لبنان، دت.

2/ المصادر الأجنبية:

1- M.c.F. Volney, voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783-1784 et 1785. Edition originale, paris, 1787.

3/ المراجع العربية:

- 1- إبراهيم خليل إبراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516/1916م، دط، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 2005 م.
- 2- التميمي عبد الجليل، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، د ط، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1988م.
- 3- الحسن عيسي، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية حتي النهاية الدولة العثمانية، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م.
- 4- الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ الاقتصادي العربي، ط1، دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2007م.
- 5- الزايدي مفيد، العصر العثماني، دط، دار أسامة للنشر، عمان - الأردن، 2009م.
- 6- الشلق أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى 1516/1916م، ط1، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002م.
- 7- الصاوي أحمد السيد، نقود مصر العثمانية، مركز الحضارة العربية، دب، 2001م.
- 8- الطويل توفيق، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، مكتبة الأدب، مصر، دت.
- 9- العشماوي محمد سعيد، مصر والحملة الفرنسية، دط، الهيئة المصرية للكتاب، دب، 1999م.
- 10- الكوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ العثمانية في بلاد الشام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت - لبنان، 1988م.
- 11- المغاري أماني، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة، مصر، دت.

- 12- المغلوث سامي عبد الله، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 2014م.
- 13- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، الجمل شوقي، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دط، دار الثقافة للنشر، مصر، 1997م.
- 14- أوغلي أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية وتاريخ الحضارة، تر: صالح سعداوي، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، 1999م.
- 15- ايناجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، تر: محمد الارناروط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، 2002م.
- 16- أوزمير حسين، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، مر: عبد الله محمد بسطويس، ط1، دار النيل للنشر والتوزيع، 2013 م.
- 17- بنوت جهاد، حركات النضال في جبل عامل، ط1، دار الميزان، بيروت - لبنان، 1993م.
- 18- بولياك، ان.ب، الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ط2، دار المكشوف، بيروت - لبنان، 1948م.
- 19- جبارة تيسير، تاريخ الدولة العثمانية 1924/1280م، دط، ددن، فلسطين، 2015 م.
- 20- جرجس مجدي، أثر الأراخنة على الأوضاع القبط في القرن الثامن عشر، دط، ددن، دب، دت.
- 21- حسن محمد عبد العني، حسن العطار، ط2، دار المعارف، دب، دت.
- 22- حسين أحمد عبد الفتاح حسين، الجيش المصري في العصر العثماني، دط، ددن ، دب، دت.
- 23- حنا عبد الله، الحركات العامة الدمشقية في القرنين 19/18م، دط، دار ابن خلدون، دب، 1985م.
- 24- أبو الحسن عبد الرحمن، لبنان والإمارة الدرزية في العهد العثماني، د ط، دار النهار، بيروت، لبنان.

- 25- ذهني إلهام محمد، مصر في كتابات الرحلة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، دط، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، دب، 1992م.
- 26- رفعت محمد، علي بك الكبير، دط، دار الفكر العربي، دب، دت.
- 27- رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديث، ج1، دط، المطبعة الأميرية، مصر، 1934م.
- 28- ريمون أندري، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيفة فرج، ط2، دار الفكر، دب، 1991م.
- 29- زقلمة أنور، ثورة علي بك 1768م، دط، مكتبة أنجلو المصرية، دب، 1952م.
- 30- سعيد أحمد خيرى، الدسائس والدماء علي بك حياته وعصره، دط، مطبعة الهلال، 1935م.
- 31- سواعد محمد يوسف، البدو في فلسطين الحقبة العثمانية 1519/1914م، دار زهران، الأردن، 2008م.
- 32- شباور عصام محمد، المقاومة الشعبية المصرية للإحتلال الفرنسية والغزو البريطاني، دط، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1992م.
- 33- شكري محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي، دط، مطبعة المعارف، مصر، دت.
- 34- صبري محمد، تاريخ العصر الحديث من محمد علي بك إلى اليوم، ط2، مطبعة مصر، دب، 2000م.
- 35- عبد الرحيم عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، 1986م.
- 36- عبد الرحيم عبد الرحمن، فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، دط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1990م.
- 37- عبد عاطف، قصة وتاريخ الحضارات العربية، ج7، دط، دب، 1999م.
- 38- عبد المنعم صبحي، الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، دط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، دت.

- 39- عز العرب عبد العزيز، الاقتصاد السياسي للقهر، تق: جلال أيمن، ط1، دار المستقبل، العربي، مصر، 1990م.
- 40- عطار سلوى، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي، ط1، دار النهضة العربية للطبع والنشر، القاهرة - مصر، 1989م.
- 41- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1952/1517م، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، 1989م.
- 42- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1966/1516م، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، دت.
- 43- عورة محمد عبد الله، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، مطبعة الأهلية، الأردن، 1989م.
- 44- عوض عبد الله حافظ، نابليون بونابرت في مصر، دط، هنداوي، مصر، دت.
- 45- عوض عبد العزيز محمد، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1914/1864م، تق، أحمد عزت عبد الكريم، دط، دار المعارف، مصر، دت.
- 46- عوض لويس، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، 1987م.
- 47- عيسى عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ القضاء في مصر العثمانية، دط، الهيئة المصرية للكتاب، دب، 1998م.
- 48- رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1916/1516م، دط، ددن، سوريا، 1974م.
- 49- هميلتون غب، هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، تر: أحمد ابيش، ج1، ط1، إصدارات دار الكتب الوطنية، 2012م.
- 50- فرج محمد، النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، دط، دار القومية للنشر والتوزيع، دب، دت.
- 51- كولن صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة- مصر جمهورية مصر العربية، 2014م.

- 52- كيدو أكرم، مؤسسة الشيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر: هاشم الايوبي ، ط1، منشورات جروس برس، لبنان، 1992م.
- 53- الحلو مسلم، مدينة نابلس، دط، ددن، دت.
- 54- لونتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ط8، دار الفارابي، بيروت - لبنان، 1994م.
- 55- الإسكندري عمر، حسن سليم، تاريخ مصر من الفتح إلى قبيل الوقت الحاضر، مر: ا.ج سفدح، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة - ج م ع ن، 1996م.
- 56- البرغوثي عمر صالح، خالد طوطح، تاريخ فلسطين، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، دت.
- 57- محمد جمال بيهيم، أوليات سلاطين تركيا المدينة الاجتماعية والسياسية، دط، مطبعة العرفان، لبنان، 1931م.
- 58- المعطى حسام محمد، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1999م.
- 59- مؤلف مجهول، قصة مدينة حيفا، تج: حسين العودات، ددن، دب، دت.
- 60- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير سباعي، ج1، ط1، دار الفكر، القاهرة، مصر، 2001م.
- 61- الرئيس محمد ضياء الدين، تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية، ج1، دط، مكتبة نهضة، مصر، 1950م.
- 62- مغيث كامل حامد، مصر في العصر العثماني 1798/1517م المجتمع المجتمع والتعليم، تق: رؤوف عباس، ط1، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة - مصر، 1997م.
- 63- منصور أسعد، تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، مطبعة الهلال، دط، مصر، 1924م.
- 64- خطاوي رينيه، خطاوي جورج، محمد علي وأوروبا، تر: الفريديلوز، دط، دار المعارف المصرية، دت.
- 65- نصر موسي موسي، صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية، دط، الهيئة العامة للكتاب، دب، 1998م.

- 66- نعيصة يوسف جميل ، مجتمع مدينة دمشق، ج1، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دب، 1986م.
- 67- البقلي محمد قنديل، المختار من تاريخ الجبرتي، ط2، دار الشعب، دب، 1993م.
- 68- هريدي صالح، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ج.م.ع، 2000م.
- 69- هريدي صالح، الصعيد في العصر العثماني، تق: عمر عبد العزيز عمر، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006م.
- 70- نوار عبد العزيز، النهضة العربية الحديثة، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ج.م.ع، 2002م.
- 71- ونتر هيكل، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، تر: إبراهيم محمد إبراهيم، مر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، دط، الهيئة المصرية للكتاب، دب، 2001م.
- 72- ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 1997م.
- 73- البيض سليم عرفات، غزة وقطاعها، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، 1987م.
- 74- بيومي زكريا سليمان، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين التحالف الصليبي الماسوني الإستعماري وضرب الإتجاه الإسلامي، ط 1، عالم المعرفة، جدة- السعودية، 1991م.

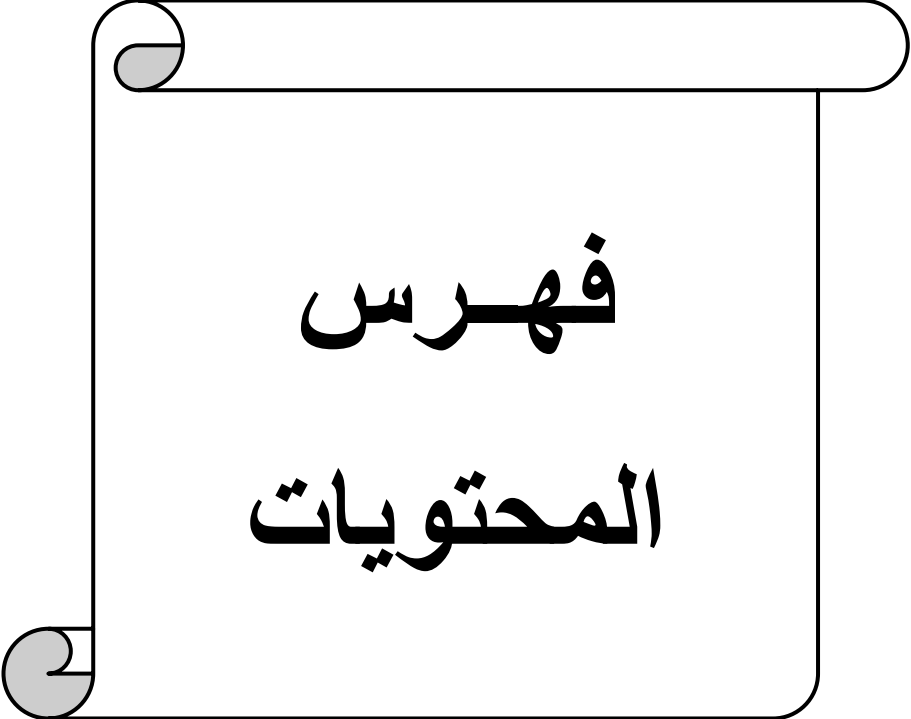
4/ قائمة المذكرات والأطروحات الجامعية:

- 1- سهيلة أحمد سرير، فتحة جاج فطيمة، الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بين الآثار الإيجابية والسلبية قرن 19/16م، مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة المدينة، 2015م.
- 2- عمروش نادية، حركات التمرد في بلاد الشام من الأوائل 17م إلى ثلاثينات القرن 19م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجرائر، 2015م.
- 3- معاشي جميلة، الانكشارية والمجتمع قسنطينة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2008م.

- 4- حاتم حسن بخيث، قوي الصراع السياسي في لبنان، مذكرة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة أم درمان الإسلامية، دب، دت.
- 5- علي لعبيدي، الحركات المناوئة للسلطة العثمانية بالشرق العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2015 م.

5/ قائمة الموسوعات والمعاجم:

- 1- الحلاق حسان، الصباغ عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية ذات الأصول الفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، 1996م.
- 2- الباشا حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دط، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة - لبنان، 1989م.
- 3- البغدادي شهاب الرومي، معجم البلدان، ط1، دار الصادر، بيروت- لبنان، 1997م.
- 4- الخطيب مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، دت.
- 5- الدباغ مصطفى، بلادنا فلسطين، د ط، دار الهدى، دب، 1991م.
- 6- دهمان أحمد، معجم الألقاط التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر، سوريا، 1990م.
- 7- بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، د ط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993م.
- 8- محمد رمزي، القاموس الجغرافي في البلاد المصرية في عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.
- 9- موستراس. س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، تق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1995م.



فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ-د
الفصل الأول: أوضاع بلاد مصر والشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي	
المبحث الأول: الأوضاع بلاد مصر خلال القرن الثامن عشر	
المطلب الأول: الأوضاع السياسية	2
تثبيت النفوذ العثماني في مصر	3
مميزات النظام العثماني في مصر خلال القرن الثامن عشر	8-4
المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية	8
- الزراعة	9-8
- الصناعة	10
- التجارة	11-10
المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية	11
طبقات المجتمع في مصر	14-11
المبحث الثاني: الأوضاع بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر	
المطلب الأول: الأوضاع السياسية في بلاد الشام	14
تثبيت النفوذ العثماني في بلاد الشام	14
مميزات النظام العثماني بالشام خلال القرن عشر	17-14
المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام	17
- الزراعة	18-17
- التجارة	20-18
المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية	20
طبقات المجتمع الشامي خلال القرن الثامن عشر	21-20
الحالة المعيشية	22-21

23	 خلاصة الفصل الأول
	الفصل الثاني: حركة علي بك الكبير خلال القرن الثامن عشر ميلادي
	المبحث الأول: التعريف بشخصية علي بك الكبير
25	 المطلب الأول: التعريف بعلي بك الكبير
26-25	 التعريف بعلي بك
27-26	 نشأة علي بك الكبير
28-27	 المطلب الثاني: وصول علي بك إلى الحكم
	المبحث الثاني: السياسة الداخلية والخارجية لعلي بك الكبير
28	 المطلب الأول: السياسة الداخلية
29-28	 1/ سياسة الاستقرار لعلي بك الكبير
31-29	 أولاً: تكوين الجيش العسكري والقضاء على أعدائه ومعارضيه
32-31	 ثانياً: طرد الوالي العثماني والتخلص من السلطة العثمانية
33-32	 ثالثاً: سك النقود الذهبية والفضية في عهد علي بك
34	 المطلب الثاني: السياسة الخارجية
35-34	 1/ أسلوب التودد
36-35	 2/ حملات علي بك في الحجاز وبلاد الشام
37-36	 أ/ الحملة الحجازية في مصر
38-37	 أسباب الحملة الحجازية في مصر
40-38	 سير الحملة الحجازية في مصر ونتائجها
40	 ب/ حملة علي بك الكبير على بلاد الشام
41-40	 أسباب الحملة الشامية
43-41	 سير الحملة الشامية ونتائجها
43	 3/ معاهدات علي بك الكبير مع روسيا القيصرية والبندقية
44	 معاهدة علي بك مع روسيا القيصرية
45	 التحالف مع البندقية

المبحث الثالث: نهاية علي بك الكبير

المطلب الأول: خيانة أبو الذهب ونزاعه مع علي بك 47-45

المطلب الثاني: وفاة علي بك 48-47

الخلاصة الفصل الثاني 49

الفصل الثالث: حركة ظاهر العمر في الشام خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

المبحث الأول: تعريف بظاهر العمر الزيداني

المطلب الأول: تعريف بظاهر العمر 52-51

المطلب الثاني: وصوله إلى الحكم 53-52

المبحث الثاني: السياسة الداخلية والخارجية لظاهر العمر الزيداني

المطلب الأول: السياسة الداخلية لظاهر العمر 53

1/ سياسة ظاهر العمر الزيداني 53

أولاً: التنظيم الإداري وتكوين الجيش 54-53

ثانياً: سياسة المسالمة والتهديد 55-54

2/ التوسعات المحلية لظاهر العمر 55

أولاً: طبرية ونابلس وعكا 58-55

ثانياً: ضم حيفا وبلاد صفد 59-58

3/ الحملة الثانية على بلاد الشام 59

أولاً: دوافع الحملة على بلاد الشام 60-59

ثانياً: سير الحملة ونتائجها على بلاد الشام 61-60

المطلب الثاني: السياسة الخارجية لظاهر العمر 61

1/ علاقة تحالف ظاهر العمر مع علي بك 61

2/ تحالف ظاهر العمر مع روسيا 62

المبحث الثالث: نهاية ظاهر العمر الزيداني

المطلب الأول: نزاع ظاهر العمر مع العثمانيين 64-63

المطلب الثاني: وفاه ظاهر العمر الزيداني 65

66	 خلاصة الفصل الثالث
	الفصل الرابع: السياسات العثمانية تجاه الحركات الانفصالية ونتائجها في القرن الثامن عشر
	المبحث الأول: ردود الأفعال الداخلية والخارجية لحركة علي بك وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر
68	 المطلب الأول: ردود فعل حركة علي بك داخليا وخارجيا
69-68	 موقف الدولة العثمانية داخليا
70-69	 موقف الشعب المصري
70	 موقف الجاليات الأجنبية
	المطلب الثاني: ردود فعل اتجاه حركة ظاهر العمر بين الموقف الدولة العثمانية وموقف الرعايا
70	
72-71	 موقف الدولة العثمانية
73-72	 موقف الرعايا من حركة ظاهر عمر
	المبحث الثاني: نتائج حركة علي بك وظاهر العمر خلال القرن الثامن عشر
74	 المطلب الأول: نتائج حركة علي بك في مصر
76-74	 1/ النتائج السياسية
79-76	 2/ النتائج الاقتصادية
79	 المطلب الثاني: نتائج حركة ظاهر العمر في بلاد الشام
81-79	 1/ نتائج السياسية
82-81	 2/ النتائج الاقتصادية
83	 خلاصة الفصل الرابع
87-85	 خاتمة
95-89	 قائمة الملاحق
105-97	 قائمة الببليوغرافيا
110-107	 فهرس المحتويات
112	 ملخص اللغة العربية
113	 ملخص اللغة الفرنسية

ملخص

ملخص اللغة العربية:

شهد القرن الثامن عشر ظهور حركات الانفصالية في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية، وكان من أبرز هذه الحركات تلك التي قادها علي بك وظاهر العمر في كل من مصر والشام، وكانت هذه الحركات محاولة للإستقلال عن الحكم العثماني المركزي وتجسد رغبة القادة المحليين في تحقيق الحكم الذاتي والإستفادة من ضعف الدولة العثمانية في تلك الفترة.

وفي منتصف القرن الثامن عشر كانت مصر تعاني من الفساد والإضطراب الداخلي، مما أدى على ضعف سلطة الدولة العثمانية المركزية، فقد استغل علي بك الذي كان من مماليك هذا الضعف ونجح في السيطرة على الحكم في مصر، وحاول تحقيق الإستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية، أما في الشام فقد عمل ظاهر العمر على تعزيز إقتصاد المنطقة وتحسين الأمن، كما تحالف مع بعض القوى الخارجية مثل: الروس، لمساعدته في مواجهة العثمانيين.

تعد الحركات علي بك وظاهر العمر نموذجًا للحركات الانفصالية التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، رغم فشل هذه الحركات في تحقيق أهدافها بالإستقلال الكامل، إلا أنها ظهرت رغبة القادة المحليين في تحقيق الحكم الذاتي والإستفادة من ضعف الدولة العثمانية، وهذه الحركات تعكس أيضا التحديات التي واجهتها الدولة العثمانية في الحفاظ على وحداتها وسلطتها خلال هذه الفترة.

ملخص اللغة الفرنسية:

Le XVIIe siècle vit l'émergence de mouvements séparatistes dans diverses régions de l'Empire ottoman. Les plus importants furent ceux menés par Ali Bey, Zahir et al-Umar en Égypte et au Levant. Ces mouvements visaient à obtenir l'indépendance vis-à-vis du pouvoir central des dirigeants locaux de parvenir à l'autonomie et de tirer parti de la faiblesse de l'Empire ottoman à cette époque.

Au milieu de XVIIe siècle, l'Égypte souffrait de corruption et de troubles internes, ce qui affaiblit l'autorité centrale de l'Empire ottoman. Ali Bey, membre de la famille mamelouke, exploita cette faiblesse et réussit à prendre le contrôle du gouvernement égyptien. Il tenta d'obtenir une indépendance effective vis-à-vis de l'Empire ottoman. Au Levant, Zahir al-Umar s'employa à renforcer l'économie et la sécurité de la région, et s'allia également à certaines puissances étrangères, comme la Russie, pour l'aider à affronter les Ottomans.

Les mouvements d'Ali Bey et de Zahir al-Umar sont des exemples des mouvements séparatistes que l'Empire ottoman a connus au XVIIe siècle. Bien que ces mouvements n'aient pas atteint leur objectif d'indépendance totale, ils ont démontré la volonté des dirigeants locaux de parvenir à l'autonomie et de bénéficier de l'influence de l'Empire ottoman. Ces mouvements reflètent également les défis auxquels l'Empire ottoman a dû faire face pour préserver son unité et son autorité durant cette période.